د. عبد الله شحاته

حقوق الزوجين

وصحابيات الرسول

صلى الله عليه وسلم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

مطبوعات مايو

المدير العام :

علوى عامر

● دار مايو الوطنية للنشر ●

١٦ شارع المنتزة - الزمالك - القاهرة

ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩

ص . ب : ١٢٥ الجيزة Fax. : 3409046

٢١٠/٤

حقوق الزوجين

وصحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم

د . عبد الله شحاتة
أستاذ الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الغلاف والاخراج الفنى :

مجــدى حجــازى

مقـــدمـــة

الحمـد لله رب العالمين ، وأشـهد ألا إله إلا الله وحـده لا شـريك له ، وأشـهد أن سـيدنا محمداً ﷺ ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فقد تحدث القرآن الكريم عن النساء كما تحدث عن الرجال ، تحدَّث عن حوّاء وعن آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وعن بلـقـيـس ملكة سـبـأ ، وعن أم مـوسى وعن هاجـر أم اسـماعـيل، وعن آسـية أمّ اسـحاق ، وعـن نساء مـؤمنات مجاهدات ، وعن نساء كافرات عاصيات .

ثم وضع الأساس العام ، فى أن كل فرد رجلاً كان أو امرأة سيجازى على عمله قال تعالى :

﴿ من عمل صـالحا من ذكـر أو أنثى وهو مؤمن فلنحـيينّه حيـاة طيبـة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن مـا كانوا يعـملون ﴾ (النحل : ٩٧)

وقال سبحانه :

﴿ فاسـتجاب لهـم ربّهم أنى لا أضيع عمل عـامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥)

وهذا كتاب من بابين ،

الباب الأول :

تحـدث عن الزواج ونظـام الأسـرة ، وذكر الخِطبـة ، وأهم ما ينبغي أن يراعى فى اختيار الزوجة ،

ثم تحدث عن حـقوق الزوجة ، ومـا يتعلق بذلك من المـهر والنفقة .

ثم تحـدث عن حقـوق الزوج على زوجتـه ، ومنها الطاعـة والقرار فى المنزل ، والحقوق المشـتركة بين الزوجين ، ومنها حسن الـعشرة ، والتـعاون فى رعـاية النسل والذرية ، وثواب العناية بتربية البنات .

والباب الثانى :

تحـدث عن صـحـابيـات رسـول الله ﷺ وتـرجم لاثنتـين وثلاثين صحابيـة من الصحابيات ، وذكر سيـرتهنّ وجهادهن وحـياتهـن فى المنزل ، وفى طلب العلم وفى الجـهـاد ومكارم الأخلاق ، فـهنّ قدوة عـملية ، وسـيرة حسنـة ، تكوِّن الأسوة والقدوة ، والمـثل الأعلى قال تعـالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

والله ولى التوفيق ..

د . عبد الله شحاتة

تمهيد

المرأة قبل الإسلام وبعده

تباينت آراء المؤرخيـن حول العصور التى سبـقت الإسلام ، فمنهم من يصورها عـصور جهل وانحطاط وظلم ، ولذلك دعيت بالجاهلية، ومنهم من يطلق عليها هذا الاسم لجهل العرب بالإسلام .

وكذلك قضـية المرأة ، ففريق يرفع منزلتـها فى نظر عرب الجـاهليـة ، والفـريق الآخـر ينكر ذلك ، ويظهـرها فى مظهـر الممتهن المسلوب الحقوق ، والحقيقة وسط بين الأمرين .

فمن النســاء من نالت منزلة ساميـة كخديجـة بنت خويلد ، وهند بنت عتبة بن ربيعة ، التى اشترطت على أبيها ألا يزوجها رجلا حتى يعرضه عليها ، وقد خطبـها رجلان فاختارت منهما أبا سفيان بن حرب .

كما أنه وجد من احتـقر المرأة ووصل به الأمر إلى وأدها ، ويمكننا القول بأن مركـز المرأة قبل الإسلام كان ضعـيفا من جهة ، وبارزا من جهة أخرى .

فالمعلقات التى تعـد من روائع الشعر العربى ، لا تخلو من الإشادة بالمرأة والغزل بها ، والمدح والفخر لإرضائها .

وتتمـيز المرأة الـجاهلية في الجـملة بخلال ثلاث : العـفة ، والفصاحة ، وحسن التربية لبنيها .

كراهيـة البنـات

تفيـد آيات القرآن ونصـوص الأحاديث والأخـبار وروايات الأدب العربى ، أن العـربى قبل الإسـلام كان صاحب المـركز الممـتاز فى الأسـرة والمجـتمع ، فهـو قوام الأسـرة وربها ، والمسـئول عن حياتهـا ورزقها ، وشئـونها وسلامتـها ، وهو الملكف بالحرب والمطالب بالثأر والمغرم ، وهو المخاطب فى المسئوليات والتبعات الإجتـماعية المتنوعة ، وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره ، وكان هو الذى يمثلها فى مصالحها الخاصة .

وفى القرآن آيات عـديدة ، تشير إلى ضعف مـركز المرأة ، وكراهية العربى لميلادها ، ونستوضح ذلك من الآيات التالية :

١ – ﴿ وإذا بشـر أحدهم بالأنثى ظـل وجهـه مسـوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما حكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩)

٢ – ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، أو من ينشؤًا فـى الحيلة وهو فى الخصام غير مبين، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ (الزخرف : ١٧ ـ ١٩).

٣ – ﴿ فـاسـتفـتـهم ألربك البنات ولهم الـبنون ، أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ﴾ (الصافات : ١٤٩ ، ١٥٠) .

٤ – ﴿ ألكم الذكـر وله الأنثى ، تلك إذن قسـمة ضـيزى ﴾ (النجم ٢١ ، ٢٢) ومـعنى ضيـزى ، جـائرة ، وفى الصحـاح (ضـاز) فى الحكم جار .

٥ – ﴿ وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ﴾

(التكوير ٨ ، ٩)

حق الميراث والتكسب

لم يكن حق المرأة فى الإرث معينا ثابتا ، سواء أكانت أما ، أم أختا أم زوجة أم بنتا ، ولا حقها فى الكسب والتصرف بما تملك مقررا ثابتا ، بل كان هذا وذاك متموجا حسب الظروف ، وكثيرا ما كانت تحرم منه .

وقد قرر الإسلام للمرأة حق التملك والإرث وسائر الحقوق المادية والمعنوية ، ورد إليها اعتبارها ، ونزلت سورة كاملة تسمى سورة النساء ، وتسمى أيضا سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى « سورة الطلاق » .

وتحتوى سورة النساء الكبرى على ١٧٦ آية فيها أحكام النساء وحقوقهن وواجباتهن وكثير مما يتعلق بهن ، وورد مثل ذلك فى سورة الأحزاب وسورة النور وسورة المجادلة ، وسورة البقرة ، وكثير من سور القرآن الكريم ، وفضلا عن أنها تشارك الرجل في جميع الأحكام والأوامر والنواهى والوصايا والآداب التى جاءت فى القرآن الكريم ، فالأصل في كل خطاب خوطب به الإنسان أو الرجل أو المؤمنون أنه يتناول نظيرة من الإناث وهناك خصائص تميز بها الرجل ، وخصائص تميزت بها المرأة ، رعاها الإسلام ، ونص عليها القرآن ، ولكن الأساس الذى انبثقت منه الأحكام هو وحدة الأصل ووحدة التكليف ووحدة الجزاء . وفي أول سورة النساء يقول الحق سبحانه :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

مــع الإســلام

كرّم القرآن إنسانيـة الإنسان ، حيث وضح أن الله خلق آدم بيده ، ونفخ فيــه من روحه وأسجد له الملائكة ومــيزه بالعقل وبالفكر قال تعالى : ﴿ ولقد كـرمن بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقد خلق الله حـواء لتكون لآدم سكنا وأمنا ، ولتكتمل بهـما أمور الحيــاة . وكما نجد الحاجـة ضرورية إلى الليل والنهار ، والظلام والنور والأرض والســماء ، والطعام والمــاء . نجد أن الحياة لا تســتغنى عن الذكر والأنثى . فلكل منهما خـصائصه ومقوماته وطبيعتـه التى خلقه الله عليها . قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغـشى ، والنهــار إذا تجلى ، ومــا خلق الذكـر والأنثى ، إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل : ١ ـ ٤) .

كانت المــرأة قبل الإسلام مــهينة فى بعض المــجتمـعات ، متهمة بأنها رجس من وسائل الشيطان ، وكان الفكر المسيحى يعتبرها رأس الشر والفــساد والخطيئة ، استنادا إلى أن ابليس قــد امــتنع عليــه آدم لــمــا أراد اغــواءه بالأكل من الشــجــرة ، فانــصرف عنه إلى حــواء ، فاســتمـعت له وللحّيــة فأغــواياها وحرضها ، وامتثلت فأكلت من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة ، ولم تزل بآدم تــحرضــه وتغـويه حتى أكـل مثلهـا فنكشفت عورتهما ، وارتكبا الخطيئة ، وحواء هى السبب . جاء فى التوراة ، قال الله لآدم :

« هل أكلت من الشــجــرة التى أوصيــتك أن لا تأكل منهــا ؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى أعطتنى من الشجرة فأكلت،

فـقال الرب الاله للـمرأة : مـا هذا الذى فـعلت ؟.. الخ » سفـر التكوين ٣ : ١١ ـ ١٣ .

وعلى ذلك الرأى كان لابد من تعـميد الكنيسة للـمواليد على أثر ميلادهم ، لا زالة أثر هذا الإثم المتوارث المهلك لأرواحهم ، والذى يحـول بينهم وبين ملكوت الله ، يقـول حـبيب جـرجس عميـد الكلية الاكليريكية بمـصر سابقا:«والمعـمودية ضرورية للخـلاص وبدونها لا يخلص أحـد ، لأن السيـد المسـيح قال : «من أمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » مرقص ١٦:١٦(١)

أمـا الفكر الإسـلامى فـإنه يعـتـبـر آدم وحـواء على قـدم المساواة أمام مسئولية الأكل من الشجرة ، لظاهر قوله تعالى: ﴿ فلما ذاقـا الشجرة بدت لـهما سـوءاتهما وطفـقا يخصـفان عليهـما من ورق الجنة ، وناداهما ربـهما ألم أنهكمـا عن تلكما الشـجرة وأقل لكمـا إن الشيطان لكمـا عدو مـبين ؟ قـالا ربنا ظلمـنا أنفـسنا ، وإن لم تغـفـر لنا وترحـمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الاعراف : ٢٢ ـ ٢٣) .

لقد كـرم الإسلام المرأة وليـدة وفتاة وزوجة وأمـاً وجعل الجنة تحت أقدام الأمـهات ، وذكر القرآن عددا مـن النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البـشرية مـثل حواء و وأم مـوسى ، وأخـته ، وزوجـته ، وزوجـة فرعـون ، وبلقـيس ملكة سبـأ ، ومريم بنت عـمران ، وزوجة عزيز مـصر التى راودت يوسف عن نفسه . كما حـفلت آيات القرآن بآجابة عن أسئلة النساء أو حل لمـشاكلهن . فـسورة المـجادلة نزلت حـلا لمشكلـة امرأة ظاهر منها زوجها وقـال لها أنت على كظهر أمى ، وبدئت بهذه

---

(١) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٦ .

الافـتتـاحيـة : ﴿ قد سـمع الله قول التى تجـادلك فى زوجهـا وتشـتكـى إلى الله ، والله يسـمع تحـاوركـمـا أن الله سـمـيع بصير ﴾

وقد نزلت من القـرآن آيات فى عدد من النساء ، كـما نزلت آيات فى عـدد من الرجـال . وصـدق الله العـظيم ﴿ من عـمل صـالحاً من ذكـر أو أنثى وهو مـؤمن فلنحـيينه حـيـاة طيبـة ولنجزينهم أجرهـم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)

الباب
الأول

الزواج ونظام الأسرة

الزواج ونظام الأسرة

الزواج هو الطريق السليم لبناء الأسرة ، وإشباع العاطفة ، ورعاية النشء ، وتعاون الزوج والزوجة ، وإشباع المطالب النفسية والبيولوجية والمادية والمعنوية للزوج والزوجة .

وقد حث الإسلام على الزواج لأنه صمام الأمان ، وباب من أبواب العصمة من الرذيلة ، والبعد عن الفحشاء والمنكر . قال تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

والأيامى جميع أيم وهو كل رجل لا زوجة له وكل امرأة لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا . جاء فى ظلال القرآن :

« ونحن نرى أن الأمر هنا للوجوب ، لا بمعنى أن يجبر الأمام الايامى على الزواج ، ولكن بمعنى أنه يتعين إعانة الراغبين منهم فى الزواج ، وتمكينهم من الاحصان ، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية ، وتطهير المجتمع الإسلامى من الفاحشة ، وهو واجب ووسيلة الواجب واجب » (١)

وقد امتن الله على عباده بنعمة الألفة والمودة بين الزوجين،

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد ٤ ص ٢٥١٥

حتى يتحملا شظف العيش ، وآلام الحياة وآمالها ، في سعادة وتعاون ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الروم : ٢١)

وقال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (سورك النحل ٧٢)

الزواج في السنة :

حث الرسول ﷺ أصحابه على الزواج وجعل الزواج عبادة مثل الصلاة والصيام والصدقة ، لأن فيه اعفاف زوجة ، وتكوين أسرة، ورعاية ذرية، وتسابق الأسر إلى تربية أبنائها وبناتها، وتوريثهم المعارف والآداب . والميراث المادي والمعنوى.

١ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة[1] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء[2]» .

٢ - وروى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما اخبروا قالوا : وأين نحن من النبى ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فاني اصلى

(١) اختلف العلماء في المراد بالباءة ، فقيل المراد بها الجماع ، وتقدير الكلام ، من استطاع منك الجماع لقدرته على تكاليف الزواج فليتزوج . وقال آخرون ، أوجه تفسيرات الباءة ، القدرة على تكاليف الزواج .

(٢) قاطع لثوران الشهوة .

الليل ابدا . وقال آخر أنا أصــوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا اتزوج أبدا ، فجـاء رسول الله اليهم فقال أنتم الذين قلتم كـذا وكذا ، أما والله إنّــى لأخشاكم لله وأتقـاكم له ، لكنى أصـوم وأفطر وأصلى وأرقـد وأتزوج النساء فـمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٣ - وروى الترمذى والنسائى والحاكم عن النبى ﷺ قال : « ثالثة حق على الله عـونهم ، المكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله » .

صفة الزواج الشرعية :

إذا كان المرء قادرا على مطالب الـزواج المالية بثروة فى يده أو عمل يقدر عليه ، مـعتدل الطبيعة البشـرية ، واثقا من اقامة العدل مع الزوجـة ، كان الزواج سنة مؤكدة ، يثاب عـليه متى نوى به تحصين النفس وتحصيل الولد والالتزام بحدود الله .

الزواج أم التفرغ للعبادة :

أيهـمـا احب إلى الله عنـد التـعـارض ؟ الزواج أم التـفـرغ للعبادة؟ نقل عن الشـافعى رحمه الله أن التفـرغ للعبادة أحب ، ونقل عن غيره أن الزواج أفضل .

قال صاحب الفتح « ج٢ ص٢٤٣ » : « ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق ، وتوسـعة الباطن بالتحمل فى معاشـرة أبناء النوع ، وتربية الولد ، والقيام بمـصالح المسلم العاجز عن القـيام بها ، والنفقـة على الأقارب والمستضـعفين واعفاف الحـرم ونفسه ودفع الفتنة عنه وعنهن ودفع التقـتير عنهن . لحبســهن لكفايتهن مؤنة سبب الخروج ، ثـم الاشتغال بتأديـب نفسه ، وتأهـيلها للعـبودية ولتكون هى أيضـا سبـبا

لتأهيل وغيرها وأمرها بالصــلاة فإن هذه الفرائض كثيرة ـ لم يكد يقف عن الجزم بأن الزواج أفضل من التخلي للعبادة » .

هذه صفة الزواج في حالة الاعتـدال . فإذا كان المرء قادراً على مطالب الزواج الماليـة ، واثقاً من اقامة العـدل في معاملة الزوجـة ، ولكنه يخشى الوقـوع في الزنا لو لم يتـزوج ، كان الزواج واجبـاً ، فإن تحقق الوقوع في الزنا لو لم يتـزوج كان الزواج فرضا .

لختيار الزوجة :

الزوجة شـريكة الحيـاة ، ورفيقـة العمـر ، ورئيسـة البيت وعماد نظامه ومـبعث سعادته ، فإذا كانت صالحـة أقامته على نظام وطيد ، وبثت فـيه روح الخيـر وملأته بأسباب السـعادة وعنيت بتربية أولادها ، فبثت فـيهم كل خلق حميد ، وعودتهم كل عادة حسنة ، وجنبتـهم سيئ الأخلاق وقبيح العادات ، وإذا كانت فـاسدة بذرت في البـيت بذور الفســاد ، وزودت ابناءها للحياة بأسوأ زاد ، فكان لزامـاً أن يعنى الزوج باختيار زوجه. قـال ﷺ « تخـيـروا لنطفـكم وانكحـوا الاكـفـاء» [1] . وامـتن أبو الأسود الدؤلي على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق ، إذ قال لهم ، لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت الينا قـبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبّون بها ، وأنشد الرياشئ في هذا المعنى :

وأول إحساني اليكم تخيري لماجدة الأعراق باد عفافها

ومن أهم ما ينبغي أن يراعى في الزوجة ما يأتي :

١ – أن تكون من الصـالحـات ذوات الدين والخلق ، لتكون

(١) فتح البارى .

أمينة عفيفة حسنة العشرة . فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين والخلق تربت يداك»[1].

٢ – والمراد بذات الدين صاحبة السلوك الحسن والأخلاق الكريمة والخلال الطيبة التى تحافظ على نفسها وبيتها وأسرتها وتتمتع بالمثل العليا والعفة والمروءة ومكارم الأخلاق . فالدين جماع المكارم وأساس الفضائل .

قال بعض العرب ، لا تنكحوا من النساء سته :

لا انانة ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة .

أما الأنانة : فى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .

والمنانة التى تمن على زوجها ، فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة التى تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه .

والحداقة التى ترمى إلى كل شئ بحدقتها ، فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة التى تضيع النهار فى تصقيل وجهها وتزينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والشداقة ، المتشدقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين »[2] .

---

(١) متفق عليه ، وأورده الغزالى فى الإحياء فى كتاب آداب النكاح (ص٧١٨) .

(١) رواه ابو داود والترمذى وحسنه ، وانظر الإحياء للغزالى .

٣ – ينبـغى اختيـار الزوجة من أصـل طيب ومعـدن كريم وأسرة مـعروفـة بحسن السـمعـة والأخلاق الفـاضلة . روى البخارى فى صحيحـه أن رسول الله ﷺ قال : « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .

وليس المراد بالأسـرة الكريمة : الثـراء والغنى والوجاهة ، إنمـا المراد حـسن السيـرة والتمـسك بالفضـائل والبعـد عن الشبهات والمحرمات .

قـال ﷺ : « تزوجـوا فـى الحـجـر الصـالـح فـإن العـرق دساس»[١] . وعن أنس أنه سـمع رسول الله ﷺ يقـول : « من أراد أن يلقى الله طاهـراً مطهـراً فـيـتـزوج الحـرائر »[٢] وعن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قال : « خيـر نساء ركـبن الأبل صالح نساء قريش ، أحناه[٣] على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده »[٤] .

وروى أن أكثم بن صيفى قال لأولاده : يا بنى ، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح الكريمة مدرجه للشرْف .

٤ – ينبغى أن تكون الزوجـة على قدر من الجمـال وحسن الوجه لتحصل بها العفـة ، ويتم الإحصان وتسعد النفس ، وقد كره الفـقهـاء ذات الجمـال الباهر لأنهـا تزهى بجمالـها ، ومن فضل الله أن الجمال أمر نسبى ، وأن المـلاحة والمحبة تختلف

---

(١) أصول التـشريع الإسلامى للأستـاذ على حسب ■ ص ٨ نقلا عن الإحيـاء للغزالى جـ ٢ ص ٢٨ .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥ .

(٣) كثيرة الحنو على الأطفال .

(٤) ذات يده : ماله (فتح البارى ٩/٩٩) .

باختلاف الأفراد ، حتى يقترن كل زوج بما يناسبه .

وقـد ورد في النصـوص الحث على تزوج ذات الدين ، وألا يكون تزوج المرأة لجمالها وحده ، مع فساد دينها .

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء :

« فأمـا من أراد من الزوجة مجـرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجـمال فهـو إلى الزهد أقرب . وقـد كان مالك بن دينار يـقول : يترك أحـدكم أن يتزوج يتيـمة فيـؤجر فيها، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ، ويتـزوج بنت فـلان وفـلان من أبناء الدنيـا فـتشـتـهي عليـه الشهـوات ، وتقول اكسني كذا وكـذا ، واختار أحـمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقلهما ﷺ فقـيل العوراء ، فقال زوجـوني إياها ، فهذا دأب من لم يقـصد التـمتع . فـأما من لا يأمن على دينه مـا لم يكن له مـستمـتع فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين .

وقد قيل : إذا كانت المرأة حـسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العـين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهي عـلى صورة الحور العين ، فإن الله تعالى وصف نسـاء أهل الجنة بهذه الصـفة في قوله ﴿فـيهن خيـرات حسـان﴾ (الرحمن : ٧٠) ، أراد بالـخيرات حـسنات الأخلاق . وفي قـوله : ﴿قاصرات الـطرف﴾ (الرحمن : ٥٦) ، وفي قـوله ﴿عربا أترابا﴾ العـروب هي العاشـقة المشـتـهيـة للوقـاع، وبه تتم اللذة ، والحـور البيـاض ، والحوراء شـديدة بيـاض العـين شـديدة سوادها فـي سواد الشـعـر ، والعـيناء الواسعة العين .

وروى النسائى وأحمد وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خير نسائكم ، من إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

٥ – ومن يمن المرأة خفة مهرها ، وتسهيل أمرها وقلة صداقها ، وقد ورد النهى عن المغالاة فى المهور . وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق . ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته باكثر من أربعمائة درهم ، وقد جرى العرف فى هذا الزمن أن يتعاون الزوج والزوجة فى تأثيث المنزل ، وشراء لوازم الزوجية ، وهو أمر حسن يسوغه ارتفاع أثمان جهاز العروس . فينبغى أن يساهم كل طرف بما يتيسر عليه ، وأن يتعاون العروسان كل بحسب قدرته ويساره ، وبدون طمع أو جشع أو أنانية أو هروب من المسئولية .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى وداعة على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها سعيد من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها .

وروى أحمد والبيهقى بسند جيد من حديث عائشة رضى الله عنها : « من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها ، وأن يتيسر صداقها ، وأن يتيسير رحمها » يعنى الولادة .

٦ – ينبغى أن تكون الزوجة بكراً ، لتكون المحبة بين الزوجين أقوى والصلة أوثق والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التى اختبرت الرجال ، وما رست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته ، فتقل الزوج.

ومن يمن البكر أنها لا تحن إلى الزوج السـابق ، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً ، قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهـوى
مــا الحـــب إلا للحبيـــب الأول
كم منزل فى الأرض يعشقه الفـتى
وحنينــه أبـــدا لأول مــنـزل

٧ – ينبغى ألا تكون الـزوجة من القرابة القـريبة ، لأن ذلك يقلل الرغبة فى الطرف الآخر ، « فإن الشـهوة إنما تنبعث بقوة الإحـساس بالنظر والـلمس ، وإنما يقـوى الاحـساس بالأمـر الغريب الجـديد ، فأمـا المعهـود الذى دام النظر إليه مـدة فانه يضـعف الحـس عن تمـام ادراكـه والتـاثر به ولا تـنبـعث به الشهوة»[1] .

وقـد كانوا يسـتحـبون تزوج البـعيـدات ويرون ذلك أنجب للولد ، وأقوى للبدن ، وأبهى للخلقة ، فعن عمر بن الخطاب أنه قال لبنى السـائب ، قد ضويتم[2] فانكحـوا فى الغرائب ، وعن الأصـمعى بنات الـعم أصبـر ، والغـرائب أنجب ، وما ضـرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية »[3] .

(١) الإحياء للغزالى ص ٧٢٥ .
(٢) هزلتم وضعفتم .
(٣) عيون المسائل الشرعية للأستاذ على حسب الله ، ص ٩ .

حقــوق الــزوجيــن

حقـــوق الزوجـــة

١- المهـــــر

٢- النفقـــة

يترتـب على الزواج الصحـيح . حقـوق للزوجة ، وحـقوق للزوج ، وحقوق مشتركة بينهما .

فحقوق الزوجة : المهر ، والنفقة .

وحـقـوق الـزوج ، الطاعـة ، والقـرار فى الـبـيت ، وولاية التأديب.

والحقوق المشتركة بينهما وهى :

(أ) حق استمتاع كل منهما بالآخر .

(ب) حسن العشرة .

وسوف نتناول هذه الأمور بشىء من التفصيل إن شاء الله .

١- المهـــــر

تعـريف المهـر :

يقال لغة (مهرت المرأة) أى أعطيتها المهر . وللمهر أسماء منهـا : الصداق والصـدقـة ، والنحلة ، والأجـر ، والفريضـة ، والعُقر .

والمهر شرعا ما أوجبه الشارع من المال بالزواج حقا للمرأة على الرجل فى مقابل ملك استمتاعه بها . ويذكر بعض الفقهاء أن المهر وجب على الرجل فى مقابل الانتفاع بالبضع وذلك لإظهار شرف المحل وخطره . وعلماء التفسير يرون أن المهر ليس ثمنا للبضع ولا شراء له ، لأن الانتفاع متبادل بين المرأة والرجل ، ولأن الزواج يحل لكل منهما الاستمتاع بالآخر. ولكن الله أوجب الصداق على الرجل ليكون دليل صدقه وقدرته على رعاية المرأة والانفاق عليها .

قال الشيخ حسن خالد :

(لقد شرع الله المهر على أنه عطاء مقرر من الرجل للمرأة، وهدية لازمه ، وليس بدلاً كالثمن للسلعة ، والأجر للمنفعة ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ أى هدية وعطاء، والمهر هدية لازمة على التراخى وليس على الفور ، وهو على الرجل دون المرأة ، لأن الوضع الطبيعى لكل منهما ، أن الرجل هو الذى يكسب فكان طبيعيا أن تكون التكاليف المالية عليه، ومن ضمنها هدايا الزواج ، وهو يقدم هذا العطاء فى مطلع الحياة الزوجية لامرأته وشريكة حياته، ليكون تعبيراً مادياً عن مودته وإخلاصه وبره ، فضلاً عن أن الزواج يكلف المرأة كثيراً من الأموال ، فكان لزاماً على الرجل أن يقدم لها ما يعينها فى ذلك ، فأوجب الله المهر على الرجل[1]).

والمهر أثر من آثار العقد، وليس ركناً من أركانه، ولا شرطاً من شروطه ، ولا ضرر فى السكوت عنه ، عند العقد لسهولة الإحتكام حينئذ إلى مهر المثل.

(١) أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية، تأليف الشيخ حسن خالد والدكتور عدنان نجا، بيروت ١٩٦٤، ص ٩١.

مهر المثل :

هو مهر إمرأة من قوم أبي الزوجة ، كأختها وعمتها ، نماثلها فيما يعتد به من صفات الزوجة : من السن ، والجمال ، والمال ، والدين ، والأدب ، والعقل والعلم ، والبكارة أو الثيوبة وما إلى ذلك ، ويراعى مع هذا حال الزوج ، فان ذا الفضل يرغب فيه ، فيتسامح معه في المهر .

نيل الأوطار :

جاء في كتاب نيل الأوطار للشوكاني ، الجزء السادس ، صفحة ١٧٢ ما يأتي:

«روى في الأثر أن سائلاً سأل عبدالله بن مسعود ، عن إمرأة توفى عنها زوجها ولم يكن قد فرض لها شيئاً ، فجعل يرده شهراً : ثم قال له : « أقول فيه برأيي ، فان يك صواباً فمن الله ورسوله وان يكن خطأ فمن ابن أم عبد ، أرى لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط» ، فقام رجلان وقالا نشهد أن رسول الله ﷺ قضى في إمرأة يقال لها بروع بنت واثق بمثل قضيتك هذه ، فسر ابن مسعود رضي الله عنه سروراً لم يسر قط مثله بعد اسلامه ، لأن قضاءه قد وافق قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم» . وفي رواية أنه لم يكن قد دخل بها وأن عبدالله ابن مسعود قد حكم لها زيادة على مهر مثلها بالإرث وأوجب عليها العدة.

وجوب المهر :

والمهر واجب على الرجل لزوجته بمجرد العقد الصحيح ، دخل بها أم لا ، واختلى بها خلوة صحيحة أو لم يختل ، وسواء سمى لها مهراً أو لم يسم ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء

صدقاتهن نحلة﴾ (سورة النساء : ٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيماً ﴾ (سورة النساء : ٢٤)

مقدار المهر :

تحديد أقل المهر مختلف فيه بين العلماء ، فعن سعيد بن جبير أقله خمسون درهماً ، وقيل أقله أربعون درهماً ، وعن مالك أقله ربع ـ دينار ، وعن أبى حنيفة وأصحابه أقله عشرة دراهم .

وذهب سفيان الثورى واسحاق وأحمد والشافعى إلى أن أقله كل ما يصلح ثمناً أو أجرة، ولا حد لأقل المهر عندهم وروح الشريعة تؤيدهم فقد أمر القرآن بتيسير الزواج ومساعدة المحتاجين على اتمامه قال تعالى : ﴿ أنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

وروى البخارى عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله إنى قد وهبت نفسى لك فقامت قياماً طويلا، فقال رجل يارسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال ﷺ ، (هل عندك من شئ تصدقها اياه؟) فقال : ما عندى إلا إزارى هذا . فقال ﷺ (ان أعطيتها ازارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئاً) فقال : ما أجد شيئا : فقال ﷺ (التمس ولو خاتماً من حديد) فالتمس فلم يجد شيئاً . قال ﷺ: (هل معك من القرآن شئ ؟) قال : نعم سورة كذا وسورة كذا ،

وسمى سورا . فقال ﷺ : (ملَّكْتُكَها بما معك من القرآن) وفى بعض طرق الحديث الصحيحة (زوجتكها) وفى بعضها : (فعلمها القرآن).

وروى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير).

أكثر المهر :

وأكثر المهر لا حد له باتفاق الفقهاء ، فليس للمهر حد أعلى عند الجميع ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى بعض الناس يغالون فى مهور بناتهن فأراد منعهم من ذلك فنهى أن يزاد فى المهر على أربعمائة درهم، وخطب فى الناس قائلاً : (لا تغالوا فى صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشر▪ أوقية (أى من الفضة) . فمن زاد فى المهر على أربعين أوقية (أربعمائة درهم) شيئا جعلت الزيادة فى بيت المال) .

ثم نزل عمر من على المنبر فقالت امرأة من قريش ليس ذلك إليك ياعمر ، فقال : ولم ؟ قالت لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ (سورة النساء : ٢٠ ، ٢١) .

فقال عمر : اللهم عفواً ▪ كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع إلى المنبر وقال : (انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صدقات النساء على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب).

وروح الشريعة تميل إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها حتى لا يسد باب الزواج على الراغبين فيه.

وقد حث النبي ﷺ على عدم المغالاة في المهور وفي الحديث الشريف (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة) . وفي الحديث أيضا : (إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها) .

قال الأستاذ على حسب الله : وإنما اعترف عمر رضى الله عنه بالخطأ حتى قيل أن امرأة خاصمت عمر فخصمته أى انتصرت عليه ، لأنه أراد أن يلزم الناس بالوقوف عند حد محدود في المهر ، ولو أنه اراد أن يرشدهم إلى ماهو أحب من غير الزام ما رجع عن قوله ، ولا خصمته المرأة ، فما كان لعمر أن يرجع عن قول يوافق مادعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم(١).

تعجيل المهر وتأجيله :

المهر من الحقوق المالية : يصح تعجيله كله وتأجيله كله ، وتعجيل بعضه ، وتأجيل بعضه الآخر ، إلى أجل قريب أو بعيد، ويصح جعله أقساط متساوية أو متفاوتة : تؤدى في مواعيد معينة .

فإذا كان هناك اتفاق على شئ من ذلك عمل به ، وإلا اتبع في كل بلد ما جرى به العرف فيه، فالمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

وجاء في كتاب احكام الأحوال الشخصية في الشريعة

(١) عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية للأستاذ على حسب الله. الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ ص ٨٩.

الاسلامية ، الجزء الأول ، للاستاذ أحمد إبراهيم إبراهيم المؤلف سنة ١٩٢٥م.

«الفقرة ١٦٧ ـ ويصح أن يتفق الزوجان على تعجيل المهر كله أو تأجيله كله إلى أجل قريب أو بعيد ، وتعجيل بعضه وتأجيل بعضه الآخر على حسب العرف، وذلك يختلف باختلاف البلاد، وقد حكى صاحب الفتح أن أهالى خوارزم يؤجلون كل المهر ، والمتعارف عندنا فى القاهرة تعجيل الثلثين وتأخير الثلث إلى الوفاة أو الطلاق ، وقد يعجل النصف ويؤجل النصف فى بعض البلاد الأخرى كذلك ، وقد يقسط المهر على أقساط تؤدى فى مواعيد معينة بحسب الاتفاق، وبالجملة إن كان شرطا فى ذلك اتبع الشرط وإلا اتبع العرف ، ومن المقرر أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا .

٢ـ النفقة

النفقة هى الحق الثانى من حقوق الزوجة المترتبة على العقد الصحيح .

والنفقة فى اللغة الاخراج ، يقال نفقت الدابة إذا خرجت من ملك صاحبها بالبيع ، والمصدر النفوق كالدخول ، بمعنى الهلاك أو الرواح أو الخروج ، والذهاب ، والنفقة اسم مصدر ، وفى اصطلاح الفقهاء: هى اسم للشئ الذى ينفقه الانسان على عياله وزوجته وأقاربه ومملوكه ، ويشمل الطعام والكسوة والسكن ، وهى حق واجب للزوجة على الزوج لقوله سبحانه : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهنَّ لتضيقوا عليهن ، وإن كنَّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى

يضــعن حملهن فــإن أرضعن لكم فــآتوهن أجورهن، واتــمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى ، لينفق ذو سعــة من سعتــه ، ومن قدر عليــه رزقه فلينفق مــما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا مــا آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ (ســورة الطــلاق : ٦ ، ٧) . وقــال عــز شـــأنه : ﴿ والوالدات يرضــعن أولادهنّ حولين كــاملين لمن أراد أن يتمّ الرضــاعة ، وعلى المــولود له رزقــهنّ وكســوتهنّ بالمــعروف ﴾ (ســورة البقرة : ٢٢٣).

وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الله فى النساء فــانكم أخذتموهن بأمــانة الله ، واستحللتم فــروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

وروى البــخـــارى ومــسلم : «أن هــندا بنت عــتــبــة زوج أبى ســفيان قــالت : يارسول الــه إنَ أبا سفــيان رجل شحــيح لا يعطينى من النفــقة ما يكــفينى ويكفى بنى ، إلا مــا آخذ من ماله بغيــر علم، فقال ﷺ : خذى من مــاله بالمعــروف ما يكفيك ويكفى بنيك»[1].

وروى أن رجلا جــاء إلى النبى ﷺ فــقال : «ما حق الــمرأة على زوجــها ، فــقال له ﷺ : يطعــمــها إذا طعم ويكســوها إذا كسي، ولا يهجرها فى المبيت ، ولا يضربها ولا يقبّح».

حكمة وجوب النفقة على الزوج:

يقتضى عقد الزواج أن تكون الزوجة محبوسة لحق الزوج، ومحرمة على غيره لتقوم بالــمقصود من الحياة الزوجية ، من حفظ النسل وتربية الولد ورعاية شئون البيت.

(١) فتح القدير ٣/٣٢١.

«والمتفق عليـه أن من حبس لحق غيره فنفقتـه واجبة عليه، فالـقاضى والعـامل والموظف وكل عـامل فى الدولة وغيـرها نفقـاتهم واجبة على مـن حبسـوا لهم، ولما كانت الزوجـة قد حبـست نفسهـا للاشراف على البـيت والقيام بـأعبائه ، فـقد وجبت لها الـنفقة على الزوج جزاء هذا الاحـتباس»[1] ، فقيرة كانت أم غنية ، مسلمة أم كـتابية . ويجب على الزوج وقد أعده الله لحماية الأسـرة ورعايتها وحمل أعـبائها أن يكفيهـا مئونة السعى لكسب قوتها لتتفرغ لأداء واجبها على الوجه الأكمل.

عمل الزوجة :

الأصل فى الحياة أن يكدح الرجل ، وأن يتحمل نفقة الأسرة ورعايتـها ، كـما أن المـرأة انسان رقـيق العاطفة ، قـادر على العطف والحنان ورعـاية الذرية وادارة شئون الـبيت ، هذا هو الأعم الأغلب ، وهو ما تقتضيه الفطرة. وفى تقديرى أن الدعوة الاسـلاميـة فى بداية انتشـارها، صاحـبـها نهـضة تعليـميـة وتثقـيفية للرجـال والنساء، وفى الحديث الشـريف، أن النساء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: غلبك علينا الرجال فاجعل لنا يوما ولهم يومـا، فجعل للنساء يومـا معلوما يذهب فيـه اليهن ليعظهن ويعلمهن.

وعرفنا عددا وفيرا من راويات الحديث ، والعارفات بشئون الدين والأدب وغير ذلك من المعارف.

وظل تعلـيم الرجـال والنســـاء فى تقـدم وازدهـار. فكانت المـدارس والمجـالس للتعليم والتـعليم، ثم مـرت بالمسلمـين

(١) فتح القدير ٣/٣٢١.

قرون سوداء ساد فيها الجهل والظلام، وسادت دعوة إلى عدم تعليم المرأة.

وفى العصر الحديث انتشر التعليم بين البنين والبنات، وحصلت الإناث على أرقى مراحل التعليم، وشغلت المرأة العديد من الوظائف.

وترتب على عمل المرأة هذا التساؤل :

إذا كانت نفقة المرأة على الرجل ، فكيف نعمل إذا كانت المرأة تعمل وتتقاضى راتبا من عملها ، أو ربحا من تجارتها؟

وأرى أن الحياة الزوجية تقوم على التعاون والتكافل ، وأن يد الله على الشريكين مالم يخونا، فإذا خانا رفعت البركة عنهما. فالزواج شركة يتعاون فيها الزوجان، ويقدم كل واحد منهما للأسرة ثمرة جهده وصافى مرتبه، وحصيلة سعيه. ولا مانع أن تحتفظ المرأة لنفسها بجزء من مرتبها ، وأن تقدم جزءا منه للمنزل جزاء السماح لها بالعمل وترك المنزل. وقد جرى العرف على هذا التعاون بين الزوجين فى مواجهة أعباء الحياة.

جاء فى كتاب «عيون المسائل الشرعية» للأستاذ على حسب الله، نقلا عن ابن عابدين ٢/ ٦٦٥ ما يأتي:

«وإذا كان للزوجة حرفة تزاولها خارج البيت نهارا وتبيت عند الزوج ليلا، كان له أن يمنعها من الخروج لمزاولة هذه الحرفة، فإذا لم تطعه سقطت نفقتها ، وليس له أن يمنعها من أن تزاول فى البيت عملا لا ينافى قيامها بحقوق الزوجية».

تقدير النفقة :

يراعى فى النفقة حال الزوج يسارا أو اعسارا ؛ فقد أمر الله

ذا السـعة مـن الأزواج بأن ينفق من سـعتـه، ولا يضـيق على زوجـه، وأمر من قـدر عليه رزقـه أن ينفق مـما آتاه الله، قـال تعالي: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾
(سورة الطلاق : ٧)

غلاء الأسعار :

كـما يراعى في فـرض النفـقة حـال الزوج، يراعى ارتفـاع الأسعار وانخـفاضها في الأسـواق، وإذا قدرت النفقة باعـتبار حال الزوج، وأسـعار الحاجـات في زمن ما، فحـسنت حاله أو ارتفعـت الأسعار كـان للزوجة أن تطالـب بزيادة ما قـدر لها ، وإذا سـاءت حاله أو خـفضت الأسـعار كـان للزوج أن يطالب بخفضه.

حقـــوق الــزوج

١ـ الطـــاعــــــة
٢ - القرار في البيت
٣ - ولاية التــأديب

للزوج على زوجتـه حقوق ثلاثة هى : الطاعـة ، والقرار فى البيت ، وولاية التأديب :

١ – الطــاعة :

الزواج رباط مـقدس حث عليـه القرآن ، وأمـرت به السنة . ومن هدى الإسـلام أن تقـوم هذه الرابطـة بين الزوجـين على المودة والرحمة والاحسان .

ومن حق الزوج على امـرأته أن تطيعـه فيـما يتعلـق بأمور الزوجية ، ومجال الناحية الخلقـية هنا أوسع من مجال الناحية القانونية ، ولـهذا كثرت الأحاديث التى تحث الـمرأة على طاعة زوجها . وسنذكـر طائفة منها ، منقـولة من كتاب إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقى . ومن كتب الصحاح والسنة :

١ – روى ابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامـت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

٢ – روى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

قال : « اطلعت فى النار فإذا اكثر أهلها النساء » ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال « يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى الزوج المعاشر .

وقد ذكر الأستاذ محمد عزة دروزه فى كتاب « المرأة فى القرآن والسنة » أن هذا الحديث وأمثاله يخص طائفة من النساء تجحدن حق الزوج ، ولا تقوم بطاعته ، تحرص على الشجار والنزاع ، ولا تجنح إلى الطاعة ولين الجانب . والحديث وارد فى مقام الوعيد والتهديد لمن تتكبر على زوجها وتكثر الشجار والنزاع ، ولا تتحلى بالوداعة والطاعة .

٣ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

٤ - روى الحاكم وصحح اسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، انى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال : « لو كان من فرقة إلى قدمة صديد فلحسته ما أدت شكره » قالت أفلا اتزوج ؟ قال : « بلى تزوجى فانه خير » .

وهذا الحديث كما ترى يصور حق الزوج فى طاعة زوجته ، وواجب الزوجة نحو زوجها من طاعة وعرفان بالجميل ، وبذلك تستقيم الحياة ، وتستقر الأسرة وتسعد الأجيال ، بالعطاء والايثار والتعاون ، وطاعة الزوجة لزوجها ، وعطف

الزوج ورعايته لزوجته .

٥ - روى الترمـذى وأبو داود وابن حبـان عن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قال : « لو أمرت احداً أن يسـجد لأحد لأمرت المرأة أن تسـجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

٦ - جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله إنى رسـول النســاء إليك ، ومـا منهن امرأة ـ عـلمت أو لم تعلم ـ إلا وهى تهوى مخـرجى إليك ، الله رب الرجال والنساء والاههم ، وأنت رسول الله الى الرجال والنساء ، كـتب الله الجهاد على الرجال ، فـإن أصـابـوا أثروا وأن استـشـهدوا كـانوا أحـيـاء عند ربهم يرزقون ، فمـا يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعـة ؟ فقال ﷺ : «طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن من تفعله» .

وفى هذا يقول على كـرم الله وجهه : « جهاد الـمرأة حسن التبعل » .

أى أن جهاد المرأة فى قيامها بحق زوجها ، ومحاولة القيام بمهـمة الزوجة على أحـسن وجه ، واثقة أن زوجـها بشر فـيه ضـعف الانســان فلتـقبله علـى علاته ، ولتـصـبـر على بعض هفـواته ، فان قـيام المـرأة بحق بعلهـا ، وطلبهـا لمرضــاته ، وحرصـها على فعل ما يرضيه ، يعدل الجهاد فى سبيل الله .

٧ - روى التـرمذى وقـال حسن غـريب ، وابن ماجـه عن أم سلمة أن رسـول الله ﷺ قال : « أيمـا امرأة ماتت وزوجـها عنها راض دخلت الجنة » .

وآيات القرآن الكريم توضح أن للرجال حق القوامة ورئاسة الأسرة لـما حبـاه الله به من قـوة وقدرة ، واختـلاط بالحـياة والأحيـاء ، وقدرة على التكسب والانفـاق ، وقد تميـزت المرأة

بالعـاطفـة والحنـان لرعـاية البـيت والأسـرة . قـال تعـالى :
﴿ الرجـال قوامـون على النسـاء بـما فـضل الله بعضـهم على بعض وبما أنفـقوا من أمـوالهم فالصالحـات قانتـات حافظات للغـيب بمـا حفـظ الله ، واللاتى تخافـون نشـوزهن فـعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهـن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء : ٣٤) .

جاء فى تفسير المنار(١) ، ما يأتى :

« أى أن من شـأن الرجـال القيـام على النـساء بالحـمـاية والرعاية والولاية والكفاية . ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجـهاد دونهم ، فـإنه يتضـمن الحمـاية لهن ، وأن يكون حظ الرجال من الميراث أكثر من حظ النساء . لأن عليهم من النفقة مـاليس عليهن . وسـبب ذلك أن الله تعـالى فضل الرجـال على النسـاء فى أصل الخلقـة ، وأعطاهم مـا لم يعطهن من الحـول والقوة . فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والأستـعـداد ، وثم سبب كـسـبى آخـر يدعم السـبب الفطرى . وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم » .

وقال الأستاذ الإمـام محمد عبده : « المـراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتـصرف فيها المـرءوس بإرادته . وليس معناها أن يكون المرءوس مـقهوراً مـسلوب الإرادة لا يعمل عـملاً إلا مايوجهه إليـه رئيسه ، فإن كون الشخص قـيماً على آخر ، هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه »(٢) .

(١) تفسير المنار . الجزء الخامس . ونداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) نداء للجنس اللطيف . تأليف رشيد رضا ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ ص ٣٠ ، ٣١ .

درجــة الرجــال :

قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . لقد شاءت حكمة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس من المودة والرحمة وقد بين القرآن أن لكل واحد من الطرفين حقوقا وعليه واجبات ، وتعنى هذه الآية فيما تعنيه أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته ، من أمور مشروعة من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ومودة وإحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة وقضاء حاجات ، يحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها ، ومن جملة ذلك اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر فى مختلف نواحى الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الأساس وكلمة « بالمعروف » فى مقامها بليغة المدى، لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه أنه حق ، وهذا لا يقاس بزمن بعينه ، فيما ليس فيه تحديد فى كتاب وسنة ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب تبدل ظروف الحياة الإجتماعية وتطورها ، والضابط العام فيه هو أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالاً .

روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيرى قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال : « تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا كسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت » .

والحديث ليس بسبيل بيان كل حقوق الزوجة على زوجها ، وأن جملة﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ واسعة المدى فى إرشاد كل طرف أن يقوم بواجبه حيال الطرف الآخر .

« وللرجال عليهن درجة » .

.قال بعضهم إن هذه الدرجة تتمثل فى كون الرجل هو الذى يملك حق الطلاق دون الزوجة ، ويملك حق التزوج بأكثر من زوجة . وقال بعضهم : إن كون الرجل هو المسئول عن الانفاق على الأسرة ، والأقوى على رعايتها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو ما عنته جملة «وللرجال عليهن درجة » .

وقال بعضهم : إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، وأنه لابد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه فى الخلاف ، لئلا يعمل كل فرد ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة « وللرجال عليهن درجة » لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله وفى كل ذلك سداد وتوافق مع طبيعة الاجتماع التى جرت فى كل زمان ومكان وظرف ، على أن يكون للرجل الرئاسة فى الأسرة لأنه الابرز والأقدر على تلقى المشاكل وحلها[1] .

وينبغى للرجل ألا يبغى بفضل قوته على المرأة ، ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها ، بل أن وجود الرجل هو الذى ييسر للمرأة القيام بوظيفتها الفطرية ، وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها[2] .

والعلاقة بين المرأة والرجل علاقة تكامل لا تماثل ، فلكل

(١) محمد عزة دروزة ، المرأة فى القرآن والسنة ، ص ٣١ .
(٢) نداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، باختصار وتصرف ، ص ٣١ .

منهـمـا دوره ، ومن الخطأ أن يرغب أحـدهمـا فى التنحى عن الدور المطـلوب منه ، ويطمـع فى دور الطرف الآخـر . قـــال تعالى: ﴿ ولا تـتمنوا ما فـضل به بعضكم على بعـض للرجال نصيب مما اكـتسبوا وللنساء نصيب مما اكـتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً ﴾ (النساء : ٣٢)

٢ – القرار فى البيت :

المرأة المـسلمة صاحـبة رسالة هـادفة ، تتمـثل فى رعاية أسرتهـا وتربية أبنائهـا وبناتها . وقيـامها بحق زوجـها وهذه الرسالة السامية تسـتدعى قرارها فى بيتها . متحـصنة بعفتها ودينها ، فـإذا خرجت من بيـتهـا لأمر من الأمـور خرجت فى ثيـاب ساترة ملتـزمة أمـر الدين فى غض البصـر والبعـد عن المحـرمات . وقـد التزمت نسـاء السلف الصالح بذلك فـتركن للبـشـرية ذرية صـالحـة ورجـالا صـالحـين ، ازدانت الدنيـا بأخبارهم وتجمل التاريخ بحسن فعالهم .

روى البـخارى ومـسلم عن أسمـاء بنت أبى بكر الصـديق رضى الله عنها أنها قـالت : « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحة وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخـرز غربه ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سيـاسة الفرس ، فكأنما أعـتقتنى ، ولقيت رسـول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : « أخ أخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه » فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغـير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى

قد أستحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد عليَّ من ركوبك معه » .

إن عناية المرأة المسلمة وجهدها ينبغى أن يبذل فى تربية النشء ورعايته ، ونظام المنزل وسعادته ، وتعليم الأبناء والبنات وتأديبهم بأدب الدين والحياة . روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحفى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، وإن دنا منكى فاقربى منه ، وإن نأى فابعدى عنه ، واحفظى انفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً.

قال الغزالى فى الإحياء :

« والقول الجامع فى آداب المرأة ، أن تكون قاعدة فى بيتها، مهتمة بعملها ، تحفظ بعلها فى غيبته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن خرجت فمختفية ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع غريب صوتها، أو يعرفها بشخصها ، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج »[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٥٦ ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

وقد أدب الله نساء النبى الكريم بأدب السماء حين قال سبحانه : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ، إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٣٣ ـ ٣٥) .

المرأة المسلمة الآن :

إن وضع المرأة المسلمة فى عدد من البلاد الإسلامية ، بل فى كثير منها وضع يتنافى مع أدب الإسلام وهديه . فقد خرجت سافرة متبرجة ، كأنها تعرض مفاتنها لتوجه أنظار الرجال إليها ، أو تثير اعجابهم بمحاسنها ، وإن لم تكن حسناء، لتستمتع بما يوجه إليها من نظرات الاستحسان الآثمة أو الكاذبة ، وإلا لماذا تكشف الحرة الشريفة عن عوراتها ومفاتنها لغير زوجها ومحارمها ، والله تعالى يقول : ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ (الأحزاب : ٥٩) .

وقد أصبح خروج المرأة على ما وصفنا عادة مألوفة فى الشوارع والمتاجر والمجتمعات العامة ، ومظهرا من مظاهر المدنية الحديثة التى فتن الناس بها .. فيا لله للمسلمين من

تقليد أعمى .. اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

وخروج المرأة فى حد ذاته ليس حراماً إذا كان لهدف أو مقصد مشروع وإنما يحرم إظهار المفاتن والعورات والخلوة بغير المحارم »[1] .

٣ – ولاية التأديب :

قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

جعلت الآية النساء نوعين :

النوع الأول : الصالحات ، ولسن فى حاجة إلى تأديب ، لأنهن بلغن بصلاحهن وخضوعهن لله ولأزواجهن مرتبة سامية .

النوع الثانى : من يخاف نشوزهن وإنحرافهن عن الصراط المستقيم فهن فى حاجة إلى تهذيب وتأديب ، وقد شرع من أساليب التهذيب ووسائل التأديب ثلاثاً :

الأول : الموعظة الحسنة ، وهذا ما يلائم حال المرأة التى تكفيها الأشارة أو الكلمة ، والزوج أدرى بما يصلح امرأته من ذلك .

الثانى : الهجر فى المضجع ، وقد قيل إن المراد به المبيت فى حجرة غير التى تبيت فيها ، وقيل فى فراش غير فراشها وقيل إن التعبير بقوله تعالى « فى المضاجع » يدل على

(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج فى الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ص ٢٠٣ بتصرف واختصار .

هجرها مع المبيت معها فى فراشها ، ولعل هذا يكون آلم لها .

وما دام المقصود التـأديب فالأولى أن يترك تقدير ذلك إلى الزوج ، ليـفعل منه مـا يلائم حـاله ، وما يراه ادعى إلى كـبح جماح زوجه .

الثالث : الضرب ، ويجب ألا يكـون مبرحـاً شديد الإيلام . وقد روى عن ابن عبـاس تفسيره بالضـرب بالسواك ونحوه ، ومن هنا نرى أن القـصد فـيـه إلى الايذاء المعنوى اقـوى من القصد إلى الايذاء البدنى .

والعـارف بأحوال النسـاء فى البيـئات المـختلفـة يدرك أن منهن من لا تصلح إلا بهذا النوع من التاديب .

فــهو توجـيه من العلـيم الحكيم لتسـتـقيم الأسـر وتتمـتع بالاستـقرار والإنتظام . وليتـخير كل زوج من يناسب زوجـته من أساليب التأديب .

ومن الخيرُ أن يقضى الزوجان وقتـا فى دراسة وضعهما ، ومـعرفـة الأسـباب التى تزعج الزوج ، والأسـبـاب التى تؤلم المرأة ، ويتـفقان على تجنب كـل واحد منهمـا ما يؤلم الطرف الآخر ، ومن الخير أن تكون النصيحة هادئة بعيدة عن الأنفعال والغـضب ، حـتى لا يجرح الـطرف الآخر ، ولا تأخـذه العـزة بالأثم .

قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطـقى فى ســورتى حــين أغضـب
ولا تنقرينى نقـــرك الدف مرة
فإنـــك لا تـدريـن كـيـــف المغــيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
ويأبـاك قلبى والقـــلوب تـقلب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعـا لم يلبـث الحـب يـذهب

وفى خطبة حجة الوداع قال رسول الله ﷺ :

ألا واسـتوصـوا بالنساء خـيرا ، فـإنما هَن عـوان عندكم ، لا تملكون منهن شيئاً غير ذلـك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فـعلن فاهجروهن فى المـضاجع واضربوهن ضربا غـير مبـرح ، فإن اطعنكم فلا تبغـوا عليهن سبـيلا ، ألا إن لكَم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حـقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فـراشكم من تـكرهون ، ولا يأذن فى بيـوتكم لـمن تكرهون ، وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

من الحقوق المشتركة بين الزوجين ما يأتى :

١ - حل استمتاع كل منهما بالآخر

٢ - حسن العشرة

١ - حل الاستمتاع

ضبط الدين غريزة البطن والفرج ، فأمر بغض البصر وحفظ الفروج وأكل الحلال والإلتزام بحدود الله ، قال تعالى فى صفات المؤمنين الفالحين : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا علي أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾
(سورة المؤمنون : ٥ ـ ٧)

فلكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه ، وهذا أمر تدعو إليه الفطرة ، ويتوقف عليه التناسل ، فعلى كل منهما أن يلبى داعى الفطرة البشرية ، ولا يمتنع على الآخر ، ما لم يكن هناك ما يمنعه من مرض أو حيض أو غير ذلك من الموانع .

وقد حكى عن كثير من العلماء أن الجماع حق للمرأة كالرجل ، ولها أن تطالب به ، ولعل من جعله حقاً للرجال وحده نظر فيه إلى توقفه علي شرط ايجابى من قبله وسلبى من قبلها وهو عند الحنفية من الأمور التى لا يتناولها القضاء والإلزام إلا الوطأة الأولى ، وهو واجب على الزوج لامرأته

ديانة ، بحيث لا ينقطع عنها مدة الايلاء ـ أربعة أشهر ـ من غير رضاها[1] .

٢ – حسن العشرة :

الزواج فيه ازدواج ومخالطة ومعاشرة ، وفيه تعاون وتكامل ، وقد حث الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين ، ونفر من الظلم والتظالم بينهما .

وقال سبحانه : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم : ٢١)

، فكل من الزوجين مطالب بإحسان معاشرة الاخر ، ويكون ذلك بالبعد عما ينفر ، والسعى إلى ما يرضى ، والتعاون على دفع الشر وجلب الخير ، والإخلاص فى أداء الواجب مع العطف والتسامح وحسن الحديث ، وإحترام الرأى وما إلى ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية من أسباب السعادة والإطمئنان ليدوم الوفاق والوئام ، ويتمتع الأبناء بسعادة الآباء)[2] .

وقد أكثر القرآن من استخدام كلمة المعروف ، وهى ما عرف عن الشرع حسنه ، وما تعارف الناس عليه ، واعتبر من الآداب العامة ومكارم الأخلاق .

قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

وقال سبحانه ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾

---

(١) على حسب الله ، الزواج ص ٢٠٧ ، والفرقة بين الزوجين ، ص ١٤٤ .

(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج ، ص ٢٠٨ بتصرف .

فالحياة بين الزوجين لا يصلحها إلى التعاون والتضحية والإخلاص والإيثار ، وقد عقد أبو حامد الغزالى بابا فى آداب المعاشرة بين الزوجين قال فيه :

ومن الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها الزوج ، الاعتدال والأدب فى (١٢) اثنى عشر أمرا . فى الوليمة والمعاشرة ، والدعابة والسياسة ، والغيرة ، والنفقة والتعليم ، والقسمة ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق. وسوف نتحدث عن خمسة من أهم هذه الآداب إن شاء الله تعالى .

آداب تتعلق بالزواج

على الزوج مراعاة الاعتدال فى خمسة أمور هى :

١ - الوليمــــة

٢ - الصــبر والاحـــتمال

٣ - المـداعبــة والمـــزاح

٤ - مزج المداعبة بالحزم

٥ - الاعتـدال فى الغيرة

١ - الوليمـــــة :

الزواج فى حد ذاته نعمة كبرى فيه صيانة الأعراض ، وامتاع النفس ، وبه تتم راعية الذرية وإثراء الحياة ، ولذلك شرعت الوليمة لأجله ابتهاجا به وإعلانا له ، والوليمة طعام يدعى إليه الأصدقاء ، من الأغنياء والفقراء ، ومن منكرات الزواج المبالغة فى الولائم ، وإحضار العازفين والراقصين والراقصات ، والجناية على الفضيلة والتبذير والإسراف والبذخ ، وقد نهى القرآن عن الإسراف والتبذير ، فقال تعالى : ﴿ ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧) .

إن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، ونحن لا ندعو إلى البخل والشح ، ولا إلى الاسراف والتبذير ، وإنما ندعو إلى الاعتدال

فى نفقات الزواج ووليمة العرس ، حسب اليسار والإعسار . إن الوليمة سنة نبوية من هدى النبوة . وهى مستحبة للقادر ، ولكن الالتزام بمظاهر الولائم . ونفقات الأفراح ، جعل بعض الناس يغالون فيها غلوا فاحشا . يخرجها عن هدى الدين . وتعاليم سيد المرسلين .

أعرف تاجرا مسلماملتزما من أسرة متدينة زوج كريمته ، وصنع احتفالا فى فندق كبير بالقاهرة . وقاربت نفقات الحفل خمسين ألف جنيه ، واستقدم فى الحفل طائفة من المغنيات والراقصات وهى أمور بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وهدى سيد الأنام .

فإذا كان هذا حال مسلم ملتزم ، فماذا يصنع عامة الناس ؟ إن المسلمين فى حاجة إلى صحوة ويقظة وتمسك بروح الإسلام واعتزاز به . والتزام بما جاء به النبى الأمين . ويجب أن تعرف كل عروس أن الكرامة ليست فى اتباع التقاليد الآثمة، ولكن فى اتباع الهدى الإسلامى لنكون حقا خير أمة أخرجت للناس .

لقد ورد فى هدى النبوة الحث على إعلان الزواج ، والضرب عليه بالدفّ ، وأبيح الغناء فى حفلات العرس ، بشرط أن تكون هناك الكلمة والأداء واللحن وغيرها مما يشيع البهجة والسرور ، ولا يثير الفتنة والرذيلة . فالغناء . والضرب بالدف . وإظهار البهجة والسرور ، أمور مندوبة أو مباحة . وهى تعبر عن سماحة الدين ويسره ، وإن الإسلام لا يؤيد المتزمتين المتشددين . الذين يرفضون كل لهو مباح ، وهو فى نفس الوقت لا يؤيد المتجاوزين . الذين يرون الأفراح لا تتم إلا

باستقدام الراقصات المائلات المميلات ، الذين لا يرون رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام .

نحن فى حاجة ملحة إلى تيسر الزواج ، وتسهيل نفقاته ، حتى يقدم الشبان والشابات على الزواج بدون معوقات ، وبدون نفقات اضافية باهظة .

صحيح أن الوليمة سنة ، ولكنها طعام عادى يقدمه الزوج حسب مقدرته وطاقته .

روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة « الطيب » فقال ما هذا ؟ فقال عبدالرحمن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال النبى بارك الله لك أولم ولو بشاة . ومعروف أن عبدالرحمن بن عوف كان من أثرياء المسلمين .

وروى الأربعة عن أنس قال أولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق .

أى أن الوليمة يمكن أن تكون ثريدا ولحما ، ويمكن أن تكون أى نوع من الطعام ليس فيه لحم بحسب حالة الشخص ، وهى مستحبة وليست أمرا واجبا .

وربما كان الأفضل للفقراء والشباب الناشئ الأقتصار فى التكاليف قدر الأمكان ، حتى يتيسر أمر الزواج ويتم إحصان المؤمنين والمؤمنات .

وتستحب تهنئة العروسين ، فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك ، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير .

روى أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال فى تهنئة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك

وجمع بينكما فى خير » .

ويستـحب إظهار النكـاح وإعلام الناس به . روى التـرمذى وحسنه وابن مـاجة أن النبى ﷺ قـال : « فصل مـا بين الحلا والحرام الدف والصوت » .

وروى البخارى عن الربيع بنت معـوذ قالت جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بُنى بى . فجلس على فراشى ، وجويريات لنا يضـربن بدفهن ، ويندبـن من قتل من آبائى ، إلى أن قـالت إحداهن : وفـينا نبى يعلم ما فى غـد .. فقال لهـا « أسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها » .

إن الغناء الجـيد وسـيلة لتـسرية النفـس وامتـاع العاطفـة وايناس الزوج والزوجـة ، بشرط الالـتزام بمـا ورد فى السنة من ناحـية الكلمـة التى تغنًى ومن ناحـية العـزف بالدف ومن ناحية عدم الإثارة والفتنة .

٢ - الصبر والاحتمال

عاطفة المرأة جياشـــة ، وهى مفطورة على سرعة الانفعال ، وقد خلقها الله كذلك لتقوى فيها عاطفة الأمومة ورعاية الأسرة، واحتمال آلام الحـمل والرضاعة والفصال والتـربية . وقد أمر الإسـلام الرجل بحسن الخـلق ، واحتـما الأذى من الزوجـة ، وكفّ الأذى عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

فـقـد ورد فى الصـحيـحين أن أزواجـه كـانت تراجـعنه الكلام[1]، وتهجرة الواحدة منهن يوما إلى الليل .

(١) أى ترد عليه الكلام ، وتقترح عليه غيرها يامرها به .

وراجـعت امرأة عـمر رضى الله عنــه عمـر فى الكلام فقـد أتراجعيننى يالكعاء ؟ فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه ، فقال عمر خابت حفصة وخـسرت إن راجعته ، ثم قال لحفصة لا تغتـرى بابنة أبى قحافة فـانها حب رسول الله ﷺ وخوّفـها من المراجعة .

وروى النسائى فى السنن الكبرى وابن مـاجة عن أم سلمة أن آخر ما وصى به رســول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامــه ، جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عـوان فى أيديكم « يعنى أسراء » أخذتمـوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وروى البخـارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كـان رســول الله ﷺ يقـول لى : « إنــى لأعـرف غـضـبك من رضاك » قالت وكيف تعـرف ؟ « قال : إذا رضيت قلت لا واله محـمد وإذا غـضبت قلت لا وإله إبراهيـم » قالت صدقـت إنما أهجر إسمك ، وفى رواية والذى بعثك بالحق نبـيا ما أهجر إلا إسمك .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنه طلقها وأنا لا أطلقك » فقالت عائشة : بل أنت والله خـير لى من أى أبى زرع لأم زرع . وهذه الأحـاديث الشـريفة ترشـد إلى مؤانســة الزوج لزوجتــه ، وامتاع آذانـها بالكلمــة الحلوة ، والأمل البســام ، وينبغى أن تجامـله الزوجة وأن تردد على مـسامـعه كلمـات الحب والود ، حـتى تنتشـر السعادة ، ويرفرف على البيت المسلم رايات المودة والوئام .

وفى الأثر : إذا كرهت المرأة زوجها فلا تخبره بذلك ، فليست كل البيوت تبنى على الحب ، ولكن على التذمم والوفاء، أى مراعاة الذمة والأمانة والوفاء ، لعقد القران بين الزوجين .

ويجب على الجيل الناشئ أن يعرف أن الحب قبل الزواج لا يستمر دوما ، وأن أفضل أنواع الزواج ما نشأ عن اختيار عاقل هادئ رزين ، ثم يأتى الحب بالمودة والعشرة ، فإنما الحب بالتحبب والصبر بالتصبر . وما نراه فى أفلام السينما ، وروايات المسرح من الحبِّ لأول نظرة ، وترك الزوجة لزوجها لوقوعها فى حبائل عاشق ، أمور تروج فى صناعة السينما والمسرح . أما الحياة العادية فتحتاج إلى صبر والتزام بهدى الإسلام ، فقد أمر الله بغض البصر وحفظ الفروج ، والاستئذان على البيوت ، وحرم كل علاقة آثمة ، وحث الدين على الوفاء بين الزوجين ، وعدم المسارعة إلى طلب الطلاق ، أو تحطيم عرى الزوجية .

قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء: ١٩)

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن اعوج مافى الضلع أعلاه ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ، فاستمتع بها وفيها عوج ، واستوصوا بالنساء خيرا » .

٣ - المداعبة والمزاح

ورد فى الأثر : « روحوا القلوب ساعة ، فإنها إذا تعبت كلت، وإذا كلت عميت » ، والمرأة مرهفة الأحساس ، ومن الخير أن تتم معاملتها بلطف وحنان ، وإذا دخل الحب فى القلوب جعلها تحتمل الآلام وتنتظر المستقبل السعيد . ولا شك

أن هذه السعادة النفسية لها أهمية كبرى في بناء الإنسان المعاصر ، فهي ترياق نافع وعقار مفيد ، إن البسمة واللمسة الحانية والمزاح والملاعبة هي التي تُطيب قلوب النساء .

وقد كان ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق . حتى روى أبو داود والنسائي وابن ماجة عن عائشة بسند صحيح أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما ، وسبقها يوما في بعض الأيام ، فقال عليه السلام : هذه بتلك .

وفي الخبر أنه كان عليه الصلاة والسلام من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضي الله عنها : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء ، فقال لي رسول الله ﷺ : اتحبين أن ترى لعبهم ، قالت قلت نعم، فأرسل اليهم فجاء واقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله ﷺ يقول « حسبك » ، وأقول أسكت مرتين أو ثلاث ، ثم قال : يا عائشة حسبك ، فقلت نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا » [1] .

وروى الترمذي والنسائي والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذي وصححه أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم » ، وفي رواية « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي » . وقال عمر رضي الله عنه :

(١) متفق عليه ، وفي رواية يوم عيد ، دون ذكر يوم عاشوراء .

« ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا » .

وقال لقمان : ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى ، وإذا كان فى القوم وجد رجلا .

وفى الصحيحين : « ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر » .

والعتل هو الفظ اللسان ، الغليظ القلب على أهله . والجواظ: الشديد المتكبر فى نفسه .

ولأبى داود : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » ، وهو الشديد المتكبر الغليظ القلب .

ووصفت أعرابية زوجها فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر هل تزوجت ؟ قال نعم ، فقال له بكرا أم ثيباً قال ثيباً ، فقال ﷺ له : هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » [1] .

إن الرجل المثالى فى هَدْى الإسلام هو الذى يكون قويا فى نفسه ، ملتزما حدود الله ، حازما فى غير عنف ، رقيقا فى غير ضعف ، صفوحا عن الزلات ، متسامحا عن الهفوات ، يرى أن الضعف البشرى ملازم للرجل والمرأة على السواء ، وصدق الله العظيم : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (سورة النساء : ٢٨). فينبغى أن ننظر إلى شريك العمر على أنه بشر يخطئ ويصيب، وتعتريه فترات القوة والضعف ، والرشد والغى ، فينبغى أن نسدده وننصحه بالتى هى أحسن .

---

(١) انظر الإحياء للغزالى ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٣٠ ، ربع العادات ، طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

ومن دراسة تراثنا العربى والإسلامى نجد أن الرجل المثالى فى عين الزوجة هو الذى يكون لطيفا ودودا بشوشا متسامحا حازما . ومن ادعى أن الرجل المثالى هو القوى العنيف الشديد الغليظ فقد جاوز الحد .

وينبغى أن تربى الذرية على هذا الأساس ، الحياة الزوجية تعاون وتسامح وعطف مودة ومحاولة أخذ كل طرف بيد الآخر.

٤ - مزج المداعبة بالحزم

بالعدل قامت السماوات والأرض ، وخير الأمور الوسط ، وشر الأمور الشطط . والمؤمن ينبغى أن يكون لينا فى غير ضعف ، وحازما فى غير عنف .

يقول أبو حامد الغزالى :

« ينبغى ألا يتبسط الرجل فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها . بل يراعى الإعتدال ، فلا يدع الهيبة والأنقباض مهما رأى منكرا ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمّر وامتعض ، قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال الإمام الشافعى : ثلاثة أن اكرمتهم أهانوك ، وإن أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى ، أراد به إن محضت الأكرام ولم تمزج غلظك لينك ، وفظاظتك برفقك ، وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لأبنتها ، اختبرى زوجك ، قبل الأقدام والجرأة عليه ، انزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه . فإن

سكت فاجعلى الأكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك .

إن سياسة المنزل أمر خاص ، يكاد أن يكون فيه لكل حادث حديث ، وقديما قالوا لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر ، لكن المؤمن ينبغى أن يغلِّب جانب العطف والرحمة على جانب القهر والشدة ، وفى الأثر : ما دخل الرفق شيئا إلا زانه ، وفى الحديث الشريف : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .

فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاق زوجته بالتجربة ، ثم ليعاملها كما يقتضيه حالها [1] .

٥ - الاعتدال فى الغيرة

ينبغى أن يكون الرجل معتدلا فى غيرته غير مبالغ ولا مفرط . والأصل حمل حال المؤمن والمؤمنة على الصلاح ، ولذلك ينبغى ألا يتجسس الرجل على زوجته ولا يتهمها بالخيانة ، بل الاساس أن يمنحها الثقة ، ويؤكد لها هذا المعنى ليكون ذلك صمام الأمان فى تماسكها أمام الإغراء والشر .

وفى صحيح مسلم : نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء ، وفى رواية نهى أن تتطلب عثرات النساء ، وفى صحيح البخارى : نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل زوجته ليلا ، يتخونها . والمعنى أن يعود من سفره ليلا ، ليتفقد خيانة زوجته .

إن الثقة التامة أساس اختيار الزوجة ، وإذا مزجت بالغيرة المعتدلة ، والرعاية الحانية ، كانت عنوان المحبة الصادقة ،

---

(١) ابو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، كتاب النكاح ربع العادات ، ص ٧٣٢ . طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه » .

وفى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا أغير منه ، والله أغير منى » .

ولأجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وروى أبو داود والنسائى وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : «إن من الغيرة غيرة يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة » .

وفى الصحيحين من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر ؟ قيل لعمر ، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك ياعمر » ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ .

وكان الحسن يقول : أتدعون نسائكم يزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار .

بوادر الخلاف

إذا بدرت بوادر الخلاف بين الزوجين ، وأحس أحدهما بالحزن أو الأسف لهذه الحياة الزوجية ، فقد حث الدين على الصبر والتريث ، ومعالجة الموقف بالحكمة والصبر . قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً » .

أحيانا تثور أعصاب الإنسان ، أو يفلت لسانه بكلمة جارحة،

ومن الخير للطرف الآخر أن يتمسك بالحكمة والصبر ، حتى تهدأ العاصفة ، وتستقر النفوس ، ويحس الجميع بالأمان والمودة والإمتنان ، قال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ (فصلت : ٣٤) .

وصية أب لابنته

١ - احذرى الكذب على زوجك ، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والأرتياب ، وهما سم الحياة الزوجية .

٢ - إحذرى شدة الأنفعالات العصبية ، فهى تجعل البيت شبه جحيم .

٣ - إحذرى الإسراف فى التجمل ، متى كان زوجك غيورا ، لأن ذلك يغضب الزوج الغيور ويثيره ، ويلقى فى روعه أن زوجته تتجمل لسواه .

٤ - إحذرى الإسراف فى مدح أى رجل غريب أمام زوجك، فقد يصدر المدح منك بحسن نية ، ولكن الزوج يكره أن تمدح إمرأته رجلا غريبا على مسمع منه .

٥ - إحذرى البطنة فإنها تفسد الجمال وتجلب البدانة .

وصية أم لابنتها

أى بنية : لا تغفلى عن نظافة بدنك ، فإن نظافته تضئ وجهك ، وتحبب فيك زوجك ، وتبعد عنك الأمراض والعلل ، وتقوى جسمك على العمل فالمرأة التفلة ـ غير النظيفة ـ تمجها الطباع وتنبو عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة ، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه .

غيرة رجل ومروءة امرأة

شكت إمرأة مطلقة مطلِّقها وأوقفته أمام القضاء ، مطالبة بحقها . فأنكر الزوج ما أدعته عليه . وأحضر شهوده ، فطلب القاضي أن تكشف المرأة المطلقة وجهها . ليشير إليها الشهود في شهادتهم ، فلم يقبل مطلقها أن يرى أجنبي وجه مطلقته ، واعترف بدعواها ، ولو أن في ذلك إدانته ، فتنازلت هي الأخرى عن قضيتها ، وأشهدت القاضي أنها أبرأت مطلقها مما لها عليه في الدنيا والآخرة ، مقابل غيرته عليها .

وفاء زوجة

يحكى أن رجلا أراد أهل زوجته أن يفرقوا بينه وبينها ، لفقر نزل به بعد غنى ، فرفع شكواه إلى الحاكم ليفصل بينهما . فأمر الحاكم باحضارها ، فلما مثلت بين يديه راقه جمالها ، وود لو أنها كانت زوجة له فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل ذلك إليك ، فتوجه الحاكم نحوها وقال : يا سعدى ، أينا أحب إليك ؟ الملك في عزة وشرفه وقصوره ، أم هذا الأعرابي في جوعه وأطماره ؟ فأشارت الزوجة إلى زوجها وأنشأت تقول :

هذا وان كان في جوع وأطمار
أعز عندي من أهلي ومن جاري

ثم قالت : لست والله لحدثان الدهر بخاذلته ، ولقد كان لي معه معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذي كتب الله لي منه ، فتعجب الحاكم من عقلها

ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم .

قال أحد الحكماء :

« المرأة الطيبــة توحي إلى الرجل ، والذكية تثير اهتــمامة ، والجـميـلة تأسره ، ولكـن المرأة العطـوف الرقيـقـة هي التي تحصل عليه » .

كلمــة إلى الشـباب

عند بداية الحياة الزوجية ، ستفـاجأ بتبدد كثير من الأحلام الوردية ، وستصـحو على تكاليف الحياة والتزاماتها ونفقاتها ، وينبغي أن يتـعاون الزوجان أمام ذلك بجـد وإخلاص ، الرجل موقــعه خــارج المنزل للكسب والعـمل ، والمرأة مـوقعــها في المنزل للـنظافـة وإعـداد الطـعـام وإعـداد الأسـرة كلـهـا في المـستـقـبل، وعند بداية النزاع لا ينبـغي الأســراع إلى الأهل والأقارب ، وينبــغي الاعتماد عـلى النفس ، وتدارس الموقف ، واستمــاع كل طرف لما يشتكي منه الطرف الآخـر ، ومحاولة الابتعاد عن ما يغضب أو يؤلم .

وقد شرع القرآن ثلاث مراتب لعلاج نشوز المرأة :

الأولى : النصيحة الخالصة وتذكـيرها بواجباتها وتحذيرها من شماتة الأخرين ، وينبغي أن تكون النصيحة رقـيقة مبعثها الحب والإخلاص والتقدير .

الثــانية : الــهجـر في المــضجع ، أو الاعـراض النفــسي و ومقاومة الرغـبة الجسدية فيها ، لعل ذلك يهـدد من كبريائها ، ويردها إلى صوابها .

الثالثة : الضــرب الخفيف الذي يصيب الوجــه ولا يبالغ في الألم ، بل ضرب بنــحو السواك أو القلم الرصــاص . فهـو أمر

معنوى أكثر منه حسى ، وقد وردت فى هذا أحاديث كثيرة تقبح الضرب وتنفر منه .

وفى النهاية ينبغى للرجل أن ينتهز أول فرصة مواتية لأنهاء التوتر وإعادة الحياة إلى مجاريها ، وإسباغ الحنان والعطف على جو المنزل . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴾ (النساء : ٣٤)

والضرب شرعه القرآن ، كجرعة من الدواء المر ، تفيد فى بعض الأحيان للابقاء على الحياة الزوجية بدلا من تصدع شمل الأسرة . والأخيار من الرجال لا يضربون ، ويكتفون بالوعظ والهجر والخيرات من النساء لا تُضْرب ، وإنما الضرب لفئة محددة ولظروف معينة ، والقرآن يُشرِّع لجميع الفئات ولجميع الطبقات . والضرب يراد منه التهديد . وفى الحديث «آخر الدواء الكى » . وروى البيهقى من حديث أم كلثوم بنت الصديق رضى الله عنها قالت : « كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ بأنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر : يا رسول الله قد ذار النساء على أزواجهن ، أى تمردن وعتين فى النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن، ثم قال : ولن يضرب خياركم » .

« فما أشبه هذه الرخصة بالحظر ، وجملة القول إن الضرب علاج مر ، قد يستغنى عنه الخير الحر ، ولكن لا يزول من

البيوت بكل حال ، أو يعم التهذيب النساء والرجال »[١] .

وقد اعترض البعض على عقوبة الضرب ، وقد كتب الأستاذ عباس العقاد في الرد على هؤلاء المعترضين يقول :

« وهو فيما يبدو لأيسر نظرة ـ إعتراض متعجل في غير فهم ، وعلى غير جدوى وليس هذا الاعتراض بالجائز إلا على وجه واحد ، وهو أن العالم ، لا تخلق فيه امرأة تستحق التأديب البدني ، أو يصلحها هذا التأديب ، وإنه لسخف يجوز أن يتحذلق فيه من شاء على حساب نفسه ، إظهارا لدعوى النخوة والفروسية في غير موضعها ، وليس بالجائز أن يتحذلق به على حساب الشريعة أو الطبيعة ولا على حساب كيان الأسرة وكيان الحياة الاجتماعية .

إن المقام مقام العقوبة ، بل مقام العقوبة بعد بطلان النصيحة ، وبطلان القطيعة ، ولم يخل العالم الإنساني رجالا ونساء ممن يعاقبون بما يعاقب به المذنبون ، فما دام في العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية ، فالشريعة التي يفوتها أن تذكرها ناقصة ، والشريعة التي تؤثر عليها هدم الأسرة مقصرة ضارة ، واللغط بهذه الحذلقة نفاق رخيص ، والتماس للسمعة الباطلة بأخبث أثمانها ، وقد أجازت الشرائع عقوبة الأبدان للجنود ، ولها مندوحة عنها بقطع الوظيفة وتأخير الترقية والحرمان من الأجازات والحريات ، فإذا امتنع العقاب بغيرها لبعض النساء ، فلا غضاضة على النساء جميعا العقوبات من جميع القوانين .. وإن عقوبة الجناة تغض من الأبرياء ، وإلا لوجب اسقاط جميع العقوبات

(١) نداء للجنس اللطيف ، تأليف السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، ص ٣٥ .

من جميع القوانين.. وإن العقوبة البدنية فى حكم الإسلام جد كريهة، وما أبيحت إلا لاتقاء ما هو أكره منها وهو الطلاق»[1] .

وقال الإمام محمد عبده فى تفسير المنار « الضرب أمر يحتاج إليه فى حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة . وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه - ونحن مأمورون على كلِّ حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن، وإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان » .

وقال القرطبى فى تفسير الآية : « واضربوهن » أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولا . ثم بالهجران ، فإن لم ينجحا فالضرب - والضرب فى هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذى لا يكسر لها عظما ، ولا يشين جارحة ، كاللكزة ونحوها فان المقصود منه الصلاح لا غير .. « فلا حرج إذا أدى إلى الهلاك وجب الضمان .. » . .

التحكيم بين الزوجين

إذا استحكم الخلاف بين الزوجين ، وعجزا بوسائلهما الخاصة ، عن حل مشاكلهما فلا مانع من الأستعانة بخبرة الآخرين وحكمتهم ، واختيار حكم من أهل الزوجة لدراسة اسباب النزاع . ووضع خطة لرأب الصدع وتلافى الأنفصال ويمكن أن يرفعا توصيتهما للقاضى ، إذا كان الأمر قد وصل إلى القضاء ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ (النساء : ٣٥) .

---

(١) الموسوعة ٤/٥١٧ ـ ٥١٨ .

فإذا استحالت الحياة بين الزوجين ، وانعدم التوافق بينهما، ولم يمكن التوفـيق بينهما بحال . وإذا تكرر العـجز عن الصلح كان الفراق : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وقد حـذر الإسلام من الطلاق لمـا يترتب عليـه من تصدع الأسر وتشرد الذرية ، وضياع الأجيال .

قال رسـول الله ﷺ « إن الله لا يحب الذواقيـن ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا » .

والذواق هو الذى ينظر للمـرأة كـالفاكـهة يذوق طعـمهـا ، ويرغب فى الانصراف إلى أخرى .

والذواقات المرأة التى تطلق من زوج لتـتزوج ثانيا وثالثا ، فالزواج عندها رغبة فى رجل ثم تنصرف عنه إلى آخر .

ولهذا أمر الديـن بغض البصر ، وحفظ الفـرج ، والبعد عن الحرام ، وإذا رغب الرجل فى امرأة أخـرى فليذهب إلى زوجته وليجامعها ، وليلزم القناعـة والالتزام بحدود الله ، وليبتعد عن ظلم المرأة أو الاعتـداء عليها ، وليحذر التـخلى عن زوجته إلى زوجة أخـرى ، فإن عين الله سـاهرة لا تنام وهو لا يرد دعوة المظلوم ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا الظلم شيمته يدعو إلى الندم
تنام عيناك والمظـلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الأثر إن امرأة خاصمت زوجها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وصرحت للخليفة العـادل بأنها لا تحب زوجها ، فقال لها عمر :

« إذا كانت أحـداكن لا تحب الرجل منا ، فلا تخـبره بذلك ،

فان أقل البـيوت مـا بنى على المحـبة ، وإنمـا يتعـاشر الناس بالحب والإسلام » .

يعنى إن التـزام كل مـن الزوجـين بحـفظ شـرف الآخـر ، والعمل لما يرشد إليه الإسلام من الواجبات والاداب الزوجية ، هو الذى تنتظم به الحياة الزوجية .

وينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده فى قلبه ، فإن التطبع يصير طبعا .

قالت عليـه بنت المهـدى أخت هارون الرشيد : تحـبب فإن الحب داعية الحب .

وفى الحـديث الشريف يقـول النبى ﷺ : « العلم بالتـعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر » .

إن قناعـة الزوجة ورضـاها سبب من أسـباب رضـوان الله عليهـا ، وإذا ماتت الزوجة وزوجهـا عنها راض دخلت الجنة . وإذا أفسدت الحـياة الزوجية ، ورغـبت فى الطلاق عدوانا على زوجها ، أو تطلعا إلى زوج آخر، فإنها تحرم من رائحة الجنة .

روى الخـمسـة إلا النسائى ، وحـسنه الترمـذى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب فحرام عليها رائحة الجنة » .

وروى الحـاكم وصحـحـه ، وأبو داود وابن ماجـة عن ابن عـمـر عن النبى ﷺ قـال : « أبغض الحـلال إلى الله عـز وجل الطلاق » .

النسل والذرية

(أ) الثمرة الطبيعية للزواج ، هى النسل والذرية والأولاد ، والولد نعمة امتن الله بها علينا فى كتابه الكريم .

قال تعـالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجـاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيـبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (النحل : ٧٢) .

والتصاق الأم بالحمل وبالرضاع وبالرعاية أظهر وأوضح ، قال تعالـى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملتـه أمه وهنا على وهن ، وفـصـاله فى عـامـين ، أن اشكر لى ولـوالديك إلى المصير﴾ (لقمان : ١٤) .

وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسـان بوالديه إحسانا حملته أمه كـرها ، ووضعته كـرها وحمله وفصاله ثلاثون شـهرا ﴾ (الأحقاف : ١٥)

كـمـا وصى القـرآن برعاية الـوالدين ، والاعـتراف لهـمـا بالجـميل ، خـصوصـا فى مرحلة الكبـر والشيـخوخـة فقـال سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعـبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إمـا يبلغن عندك الكبـر أحدهمـا أو كلاهمـا فـلا تقل لهمـا أف ولا تنهرهما وقل لهـما قولا كريما ، واخـفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (الإسراء: ٢٤)

(ب) وقد حث الإسلام على أن يحتفى بالمولود وأن يبشر به والده ويهنأ به ، وشـرع العـقيـقة وهى ذبح شـاة شكرا لله على ولادة المولود .

قـال تعـالى : ﴿ فنادته المـلائكة وهو قـائم يـصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (آل عمران : ٣٩)

ولما ولدت مارية القبطية إبراهـيم ، خرجت سلمى ـ قابلتها ـ إلى زوجـها أبى رافع فـأخـبرته بذلـك ، فجـاء أبو رافع إلى

النبى ﷺ فبشره فأهدى إليه هدية على بشارته[1] .

ولقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية فى التفرقة بين البشارة بالذكر والبشارة بالأنثى .

(جـ) وحث الإسلام على حسن تسمية المولود ، لما للأسم الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة متنوعة ، فهو يدخل السرور والغبطة على نفس المسمى ، ويدخل الفخر والراحة على نفس أبويه وخاصته ، روى أبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا اسماءكم » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الأسماء إلى الله : عبدالله وعبدالرحمن » .

وكره النبى ﷺ التسمية بالأسماء الصعبة والمعانى المكروهة مثل : حرب وحزن ولهب ونيران ومرة وكلب . وقد حرم الإسلام بعض الأسماء مثل : ملك الملوك ، أو سلطان السلاطين ، أو شاهنشاه .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك » .

وكذلك التسمية بأسماء الله مثل : عزيز ورحيم وجبار ، وكلكم سيد الناس وسيد الكل ، وسيد ولد آدم ، لأن ذلك ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ .

وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يغير الأسماء القبيحة فى أصحابه فغير اسم عاصية إلى جميلة ، وحرب إلى سلم ، وحزن إلى سهل ، والعاص إلى عبدالله ، وغراب إلى مسلم[2] .

(١) تحفة المودود في أحكام ، لابن قيم الجزية ، ص ٦١ .
(٢) صحيح مسلم ، وتحفة المودود ، والترغيب والترهيب ٤ / ١٣٩ .

(د) ومن أحكام المولود ذبح عقيقة عنه وهى شاه تذبح للمولود تيمنا بولادته ، وشكرا لله على نعمه ، وإطعاما للفقراء والمساكين ، ورغبة فى أن يحفظه الله من السوء .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « مع الغلام عقيقة فاهرقوا دما وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعة ، ويسمى فيه ، ويحلق راسه » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا .

(هـ) ومن مظاهر الفرح بالمولود الجديد : حلق رأسه فى اليوم السابع من ولادته والتصدق على الفقراء بزنة شعره فضة أو ذهبا ، ففى الحديث الشريف عن على رضى الله عنه أن رسول ﷺ أمر فاطمة فقال : « زنى شعر الحسين وتصدقى فى وزنه فضة ، وأعطى القابلة من العقيقة [1] » . وفى الموطأ : وزنت فاطمة شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بوزن ذلك فضة [2] .

(و) ومن حقوق الطفل على والديه إثبات نسبه منهما حفظا له من الضياع والمذلة ، وثبوت نسبه آيه من آيات القدرة الألهية قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ﴾ (سورة الفرقان : ٥٤) .

وثبوت النسب حق يثبت للطفل بمجرد ولادته ، من غير حاجة إلى إجراءات من أى نوع ، فوجود الزوجية يكفى فى

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ، لابن قيم الجوزيه .

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ٢/٤٥

اثبات أن الوليد ينتسب إلى أبويه ، قال ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » [1] .

ونظرا لأهمية الأنتساب الحقيقى إلى الأسرة ، ضرورة الأندماج الأسرى عن هذا الطريق ، أنكر الإسلام نظام التبنى الذى كان معمولا به فى الجاهلية ، ولا يزال كذلك فى كثير من تشريعات العالم الغربى ، فحرمه الإسلام نظرا لما يؤدى إليه من اختلاط الأنساب ، وأفساد مقومات الأسرة .

قال تعالى : ﴿ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾ (الأحزاب : ٦)

وقال سبحانه : ﴿ أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ﴾ (الأحزاب : ٥)

وفى مقابل ذلك شدد الأسلام النكير على من ينتسب لغير أبيه وهو يعلم ، وعلى من ينكر نسب ولده وهو يعرف .

(ز) ومن المسئوليات المشتركة فى هذا الصدد . رضاعة الطفل ، فهى تجب على أبويه ديانة وقضاء بالأجماع ، على الأم بالفعل ، وعلى الأب بالنفقة والأجرة لها أو لغيرها من المرضعات ، وقد أفاض العلم الحديث فى بيان أهمية رضاعة الأم ، وأن هذه الرضاعة لا تغنى عنها الوسائل الصناعية فى الرضاع مهما تعددت أشكالها وأساليبها .

وجملة القول أن كل أمر يخص الوليد فى مراحله المتقدمة هو من المسئوليات المشتركة على الزوج والزوجة ، وقد سن الإسلام فى ذلك أرشد السنن ، وأهدى السبل ، إحتفاء بالنسب، وتكريما له ، وتعظيما لشأنه [2] .

---

(١) اخرجه الجماعة إلا ابو داود .
(٢) فلسفة نظام الأسرة فى الإسلام ، ١٥٥ - ١٦٠ ، بتصرف .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن القرآن لم يهتم بتربية الاطفال ورعايتهم وتأديبهم ، وينبغى أن نعرف أن الوحى كان ينزل ليبنى الفرد المسلم والأسرة المسلمة . وكان سلوك الرسول العملى وتوجيهاته لأصحابه ، هى المحضن الطبيعى الذى نشأ فيه أطفال الصحابة ، وقد نشأ هؤلاء الأطفال حول القرآن والسنة وعمل الصحابة وسلوك المجتمع . وامتصوا من المجتمع حولهم أهداف الإسلام وآدابه .

ولم تكن التربية كلاما منفصلا عن السلوك ، بل كانت وحياً يطبق وقرآنا يتحرك وسنة تنفذ . فالمستشرقون يقيسون نمط التربية الإسلامية على أنماط أخرى من التربية ، وهو قياس مع الفارق . لأن لكل نوع من أنواع التربية فلسفة معينة ولا يصح أن نقايس بين نمط للتربية فى القرن العشرين ، ونمط فى القرن السادس الميلادى ، مع اختلاف المناخ والعصر ، ومع هذا ففى القرآن والسنة والتراث الإسلامى ، أدب متكامل لنشأة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم . وقد سجل ذلك فى كتب التربية الإسلامية ، مثل رياضة الاطفال والغلمان وتعليمهم وتأديبهم ، وهو ضمن موسوعة كبيرة كتبها أبو حامد الغزالى بعنوان : إحياء علوم الدين .

ولابن خلدون كتاب فى رياضة الأطفال وتربيتهم ، ومثل ذلك لسحنون ، وفى كتب الفقة نجد فصولا وفقرات عن ولادة الصبى وتربيته وكيفية تعليمه . وتدريبه على الصلاة والصيام والزكاة والحج .. وفى تسوية الصفوف فى صلاة الجماعة يصفّ الرجال ثم الصبيان ثم النساء .

العناية بتربية البنات

كان العرب كأكثر الناس يكرهون البنات ، وقد شنع القرآن على هذه العادة وبين أن الرزق من عند الله وأن الله يرزق البنت كما يرزق أباها ، وربما رزق الأب من أجل وليدة عنده ، وتوالت الأحاديث الصحيحة توجه المسلمين إلى رعاية الذرية وتحث على إكرام البنات وتربيتهن وتأديبهن ، والمساهمة في تزويجهن ، والاشراف على شؤونهن ، وتحمل مسئوليتهن ، وإليك طائفة من هذه الأحاديث النبوية الكريمة :

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة قالت : «دخلت على إمرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة ، فأعطيتها أياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ﷺ علنا فأخبرته ، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له سترا من النار » وفى لفظ « من ابتلى بشئ من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » .

٢ - وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت : « جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها أبنتاها ، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » .

٣ - وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - أى معا . « وفى لفظ الترمذى » من

عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه . ولأبن حبان فى صحيحه ولفظه قال رسول الله ﷺ : « من عال ابنتين أو ثلاثا أو اختين أو ثلاثا ، حتى يبلغن أو يموت عنهن » كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه السبابة والتى تليها .

٤ – روى ابن ماجة باسناد صحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

٥ – روى الطبرانى عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبلغن أو يمتن الا كن له حجابا من النار » فقالت له امرأة أو بنتان » قال : « أو بنتان » وللحديث شواهد كثيرة .

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو اختان فأحسن صحبتهن وأتقى الله فيهن فله الجنة » . ورواه أبو داود بلفظ « فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » ، ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه .

وفى رواية للترمذى قال رسول الله ﷺ : « لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة » .

الباب الثاني

صحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين جبال مكة ووهادها، نزل وحى السماء على محمد بن عبدالله برسالة الله إلى الخلق أجمعين:

﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ (المدثر : ١ ـ ٤) وجهر النبى الأمين بدعوته، وجمع الناس من أهل مكة ووقف بينهم يقول: (لو أخبرتكم أن خيلا بالبوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟) قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة».

وتبع ذلك جهاد فى تبليغ الدعوة والرسالة فى مكة والمدينة. وكانت الدعوة عامة للرجال والنساء، والعرب والعجم والأبيض والأحمر.

دعوة لتحرير الانسان من العبودية والذل، وتكريم إنسانية الانسان.

تكريم الرجل والمرأة. وقد آمن به الرجال والنساء واحتملت المرأة مع الرجل جانبا من العذاب والهجرة والجهاد والبناء. ودفعت المرأة ضريبة الايمان من التضحية والفداء والشهادة وكانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة، طعنها اللعين

أبو جهل بحربة فى قلبها فماتت، وفى شأنها وشأن أسرتها قال النبى صلى الله عليه وسلم: (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة).

واستمرت الدعوة الاسلامية فى طريقها. وهاجر الرجال والنساء إلى الحبشة مرتين كما هاجر الرجال والنساء إلى المدينة المنورة.

وكان الاسلام دعوة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومنهاجا للحياة الكريمة والعمل النافع والسلوك المستقيم.

وعنى الاسلام بشأن المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأما.

وأثبت حق المرأة فى الميراث، وفى الحياة الكريمة، ورسم لها: مالها وما عليها، وصدق الله العظيم :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ (سورة البقرة : ٢٨٨)

فللمرأة حقوق: هى المهر والنفقة والعشرة بالمعروف، وعليها واجبات هى طاعة الزوج والمحافظة على شرفه وماله ورعاية الأسرة، واضفاء لمسة الحنان والحب والوفاء على المنزل، قال ﷺ (ألا أدلكم على خير ما يكنز الرجل فى بيته، امرأة صالحة إذا نظر إليها زوجها سرته وان أمرها إطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه).

إن هذا الاسلام كان يحمل فكرا جديدا ونورا جديدا وروحا جديدا، كان يحمل فضائل الدنيا، ويرسم الطريق القويم للسلوك الأمثل للرجال والنساء وحين قالت أم سلمة يارسول الله ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء أنزل الله تعالى ثلاث آيات جوابا على تساؤل أم سلمة :

الآية الأولى هى الآية ٣٥ من سورة الاحزاب وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات . والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾.

والآية الثانية هى الآية ١٩٥ من سورة آل عمران وهى :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ .

والآية الثالثة هى الآية ٣٢ من سورة النساء وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ﴾ .

لقد فتح الاسلام أبواب العلم للرجل والمرأة وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقد أقبلت النساء في صدر الاسلام على رواية الحديث اقبالا عظيما . حتى أتى ابن سعد فى الجزء الذى عقده من طبقاته لرواية الحديث من النساء على سبعمائة امرأة روين الحديث من رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه. وترجم ابن

حجر فى كتابه (الاصابة فى تمييز الصحابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ووثقهن، وقد كتب كثير من العلماء الأوائل عن مركز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) والنووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوى فى (الضوء اللامع)... الخ ونبغ فى التاريخ الاسلامى عالمات خلد التاريخ ذكرهن، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عالمة جليلة، تحدث الناس، وتصحح للصحابة وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم حتى ألف بدر الدين الزركشى كتابا سماه (الاجابة، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة [1].

المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامى

استمرت مسيرة المرأة المسلمة فى طريق التعليم والمعرفة فى سائر العصور الإسلامية، ومن بين اللائى جمع منهن البخارى أحاديثه كريمة الحرورية والتنوخية، ويشير السبكى فى كتابه طبقات الشافعية إلى كثير من النساء اللاتى كن مرجعا له فى معرفة تقاليد النبى وعاداته.

كما أن عدد النساء اللاتى تبحرن فى الميدان اللغوى والأدبى كان كثيرا. ولم تقتصر النساء على الدراسة بل قمن إلى جانبها بالأشغال المتنوعة فكن يشاركن الرجال فى مهن مختلفة كالتدريس والطب. وذكر ابن خلكان أسماء عدة نساء اشتهرت طالبات للعلم ومحاضرات ومن هؤلاء:

١ ـ أم المؤيد

---

(١) المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر د. عبدالله شحاته ص ٨١.

٢ ـ فخر النساء شهدة
٣ ـ السيدة نفيسة
٤ ـ مؤنسة الأيوبية
٥ ـ شامية بنت الحافظ
٦ ـ زينب بنت عبداللطيف
٧ ـ شهدة الكاتبة
٨ ـ مريم بنت أبى يعقوب الأنصاري

ومـا لا حظناه في الجيل المـاضى من تخلف المـرأة علميـا لم يكن الأصل فيه مـحاربة الاسلام لتعليم المـرأة ، وإنما كان مظهرا من مظاهر الجهل الذى عـمت آثاره الرجال والنساء على السواء(١).

ان المرأة حيـن تعود إلى التعليم فى العصـر الحديث فليس ذلك بغريب عن روح دينها ولا عن تراث أسلافها. ونحن نبارك تعليم المرأة ونتمنى أن تحـافظ على تقاليدها وقيمـها، ونرجو ألا يكون التـعليم سـبـيـلا إلى التـمـرد على القـيم والأخـلاق الاسلامية بل هو روح جـديد يعانق روح القرآن والسنة وهدى الصحابة وسيرة الصحابيات.

وهنا أقـدم نماذج مضـيئـة لصحـابيات جليلات كـان لهن شرف الصحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتبسن منه الهدى والنور.

لقـد كـان الرسـول الكريم المـثـل الأعلى ، والنور الهـادى والقمة العالية التى حملت وحى السماء وباركت رجال الاسلام ونساءه حـتى كانوا خـير أمـة أخرجت للناس، وقـد استـضاء

(١) تطور النظرية التربوية لأستاذ صالح عبدالعزيز بواسطة كتاب المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبدالمتعال الجبرى ص ٥٩ ـ ٦٨.

الجميع بنوره . وقد آثرت أن أقدم هذه التراجم من كتب التراث مثل طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام وأسد الغابة فى معرفة اصحابة لابن الأثير وقد أفرد الجزء السابع للحديث عن صحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ ـ أسماء بنت عميس

أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عمر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد ابن مالك بن بشر.

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية.

أسلمت أسماء قديما، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب فولدت له بالحبشة عبدالله وعونا ومحمدا، ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبى طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبى بكر، ثم مات عنها فتزوجها على ابن أبى طالب، فولدت له يحي، لا خلاف فى ذلك.

روى عن أسماء عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابنها عبدالله بن جعفر والقاسم بن محمد، وعبدالله بن شداد، وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم وقال لها عمر بن الخطاب: نعم القوم، لولا أنا سبقناكم إلى الهجرة فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال بل لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة.

وروى أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله: ان ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقى لهم؟ قال نعم[1]. رواه

(١) تحفة الاحوذى ، أبواب الطب ، باب ما جاء فى الرقية من العين، الحديث ٢١٣٦ : ٦ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

الترمذى وقال حسن صحيح.

والرقيا فى الاسلام تكون بقراءة سورة الفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وخواتيم سورة البقرة ، وآية الكرسي، وقرأة (باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) و (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير).

٢ـ أسماء بنت يزيد الأشهلية

أسماء بنت يزيد الأنصارية من بنى عبدالله الأشهل، رسول النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت بأبى وأمى أنت يارسول الله، أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبالهك، وانا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وانكم معشر الرجال ـ فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وان الرجل إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا اثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير، فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قالت: هل سمعتم مقالة امرأة قط، أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه، فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبى ﷺ فقال: افهمى ايتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأةلزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهى تهلل.

أخرجه الثلاثة : البخارى ومسلم وأبو داود.

ويفيـد هذا الحديث الشريف أن العلاقـة بين الرجل والمرأة علاقـة تكامل لا تماثل فالـرجل عليه أعبـاء مالية واجـتماعـية، والمرأة ميـدانها المنزل ورعاية الذرية والاشـراف على شئون الأسرة. وهى فى هذا المـيدان جندى مـجهول لا يضـيع أجره ولا ينقص ثـوابه عند الله ، ولا غـنى للرجل عن المـــرأة ، ولا غنى للبيت عن المرأة ، وهى حين تقـوم بواجبها فى منزلها مع زوجهـا وأولادها ترضى ربها وضـميرها وأمـتهـا قال ﷺ إذا صلت المـرأة خمـسهـا وصامت شـهـرها، وحفظت نفـسهـا، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها.

٣ـ بريرة مولاة عائشة

بريرة مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم، كانت مولاة لبعض بنى هلال فاشترتها عـائشة واعتقتها وكان اسم زوجـها مـغـيثـا وكـان مولى فـخـيرها رسـول الله ﷺ فاختارت فـراقه، وكان يحبهـا، فكان يمشى فى طريق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليـها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهـا فيه، فقـالت: أتأمر؟ قال: بل أشفع، قـالت: فلا أريده وقد اخـتلف فى زوجها: هل كـان عبداً أو حرا. والصـحيح أنه كان عبدا.

وعن عـائشة أن النبى ﷺ جـعل عـدة بريرة حين فـارقهـا زوجها عدة المطلقة.

وروى عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فـكانت تقول لي: ياعبـد الملك انى أرى فيك خـصالا، وانك لخليق أن تلى هذا الأمـر فان وليـته فـاحذر الدمـاء فانى

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الرجل ليدفع عن الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمه من دم يريقه من مسلم بغير حق.

روى لها البخارى ومسلم وأبو داود.

وحين اتهمت عائشة فى حديث الافك، وتكلم عنها المنافقون، استشار النبى أصحابه، فقال على أهلك ولا نقول إلا خيرا واسأل الجارية تصدقك فسأل بريرة فقالت والله ما أعلم شيئا يغمطها سوى أنها جارية صغيرة تنام عن العجين فتأتى الدواجن فتأكله.

إن الاسلام كرم انسانية الانسان، واهتم بأمر النساء واليتامى والرقيق فأمر باكرام الرقيق والعبيد، وهذه بريرة كانت رقيقة فكرمها الاسلام، وجعل لها الحق فى اختيار نفسها، وجعلها تجالس الخلفاء وتقترح عليهم العدل وعدم إراقة الدماء، وما رفعها إلى هذه المنزلة إلا الاسلام الذى جعل الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله العظيم ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

٤ - جميل بنت يسار

جميل بنت يسار، أخت معقل بن يسار المزنية، امرأة أبى البداح، وقد طلقها أبوالبداح فنزلت فيها الآية ٢٣٢ من سورة البقرة وفيها يقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ .

روى عن الحسن قال، حدثنى معقل بن يسار أن هذه الآية

نزلت فيه، قال: كنت زوجت أختا لى من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأكرمتك وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليها أبدا، قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية فقلت الآن أفعل يارسول الله فزوجتها اياه.

ونستلهم من قصة جميل، ومن روح القرآن أن الاسلام يكره الطلاق ويحاول أن يعيد الأسرة إلى الوئام والصفاء خصوصا إذا ندم الرجل بعد الطلاق ورغبت المرأة أن تعود اليه فينبغى لولى أمرها ألا يمنعها من العودة إلى زوجها.

لقد جعل الله الطلاق ثلاث مرات، لعل الرجل أن يندم بعد الطلقة الأولى أو الثانية ويحاول أن يصلح زوجته، فاذا رضيت الزوجة بالعودة فهى أزكى وأطهر ولعل الله أن يهيئ لهما من أمرهما رشدا.

٥ـ جويرة بنت الحارث

جويرة بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ـ وهو المصطلق ـ بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا.

وعمرو هو أبو خزاعة كلها، الخزاعية المصطلقية.

سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهى غزوة بنى المصطلق سنة خمس، وقيل سنة ست، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس او ابن عم له.

عن عائشـة رضي الله عنها قالت لما قـسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس بن شمـاس أولا بن عم له، فكاتبته على نفسها، وكـانت امرأة حلوة ملاحـة لايراها أحد إلا أخذت بـنفسه، فـأتت رسول الله ﷺ تستعينـه في كتابتها ـ قالت عائشـة : فو الله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت.

فلمـا دخلت على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم، قـالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء مـالم يخف عليك ، وقد كـاتبت على نفســي ، فأعني على كتـابتي ، فقـال رسول الله ﷺ : أو خـير من ذلك ، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت نعم ، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجهـا، فقالوا أصهـار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيـديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بهـا مائة أهل بيت من بني المصطلق، فـما أعلم امرأة، أعظم بركـة منها على قومها.

ولما تـزوجها رسـول الله ﷺ حجبهـا، وقسم لهـا وكان اسمها بره فسماها رسول الله ﷺ جويرية (١).

وعن ابن عباس كـان اسم ميمونة بره فسـماها رسول الله ﷺ ميـمونة روت جـويرية الحديث عن النبي ﷺ وروى عـنها ابن عباس وجابر، وابن عمر ، وعبيد بن السباق وغيرهم.

وكـانت جويرية بنت الحـارث قبـل السبي عند ابن عم لهـا يقـال له ذي الشفـر ثم وقـعت في الاسـر فأدى الرسـول ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٨٤، واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٧ / ٥٧.

كتابتها وتزوجهـا بعد زينب بنت جحش، ومات رسول الله ﷺ ولم ينجب منها ولدا [١].

وكانت عابدة كثيرة الصـلاة مر عليها رسول الله ﷺ وهى فى مسجـد بيتها منقطعة فـى صلاتها، ثم مر عليهـا قريبا من نصف النهـار فقـال لها مـازلت على حـالك! قالت نعم قـال ألا أعلمك كلمات تقولينـها: (سبحان الله عدد خلقـه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).

أخرج لها البخارى ومسلم وأبو داود.

لقد تزوج رسول الله ﷺ تسع زوجـات وكانت هناك حكمة سـاميـة فى زواجه من كل واحـدة منهن، كـانت عائشـة بنت أبى بكر الصديق. وحفصة بـنت عمر بن الخطاب وكان زواجه منهما تكريمـا لصاحبيه ووزيريه كما كـان زواجه من جويرية بنت الحارث رعاية لها وقد وقعت فى الأسر وكانت أيمن امرأة على قومها فبعد زواجها مباشرة أعتق الصحابة ماتحت أيديهم من الأسرى من بنى المصطلق حتى لا يسترقوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- حبيبة بنت سهل الأنصارية

حـبـيـبـة بنت سـهل الأنصـارية، أراد رسـول الله ﷺ أن يتزوجها ثم تـركها، فتزوجها ثابت بن قـيس بن شماس، وهى التى اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس.

وروى أن التى اختلـعت من ثابت بن قيس هى جمـيلة بنت أبى بن سلول. قال أبو عمر: جائز أن يكون حبيبة وجميلة بنت أبى بن سلول اختلعتا من ثابت.

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٤٦ ، وابن اسحاق.

روى الامام أحمد: (أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس فكرهته وكان رجلا دميما، فجاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله، انى لأراه ولولا مـخافة الله لبزقت فى وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أتردين عليه حديقته التى أصدقك ؟ قالت نعم »

فأرسل إليه فـردت عليه حديقته، وفرق بينهـما، وكان ذلك أول خلع فى الاسلام.

وروى عن عمرة عن حـبيبة أن زوجهـا ثابت بن قيس كان فى خلقه شدة فضربها، ثم أدى ذلك إلى الخلع.

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود.

ان الاسلام قـد جعل الطلاق بيد الرجل، ولـكنه أباح للمرأة إذا رأت ان الحياة مـع زوجها متعـسرة أو مستـحيلة أن تطلب الخلع وهو مـفارقـة الزوج لزوجـته عـلى مال تؤديه له جـزاء طلاقهـا، ويكره أن يأخذ منها أكثر ممـا أعطاها. والخلع جائز عند الضـرورة وبشـرط أن تكون له أسـبـاب جـوهرية وهو وسيلة عملية لتخليص المرأة من زواج مـتعثر لم يحقق أهدافه من المودة والرحـمة، وقـد ورد فى هدى النبوة تحـذير المرأة من طلب الطلاق بدون سـبب، لأن كل زواج يحتـاج إلى صبـر واحتمال وشئ مـن القناعة، والخلع لا يكون إلا عند الضرورة، عندما تستعصى الحياة الزوجية ولا يستطاع إصلاحها.

٧ـ حليمة بنت أبى ذؤيب

حليمة بنت أبى ذؤيب واسم أبى ذؤيب: الحـارث بن عبدالله بن شجنة بن جابر بن سعد بن بكر بن هوازن.

عن ابن اسـحاق لمـا ولد رسـول الله ﷺ التـمست أمـه له

الرضـعاء واسـترضـع له من حـليمـة بنت أبى ذؤيب. وهى أم رسول الله ﷺ من الرضاعة.

روى عنها عبدالله بن جعفر بن أبى طالب.

عن عبدالله بن جـعفر ابن ابى طالب قال، قـالت حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته:

قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شـهبـاء فـقدمـت على اتان قمـراء [1]، كانت أذمـمت بالركب (أى حبسـتهم لضعفها وانقطاع سيـرها) ومعى صبى لنا وشارف لنا [2]، والله مـا ننام ليلنا ذلك أجـمع مع صبـينا ذاك، وما يـجد فى ثديى مـا يغنيه، ولا فى شـارفنا ما يغـذيه، فقـدمنا مكة فو الله مـا علمت منا امرأة الا وقـد عرض عليـها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا قيل : يتيم، تركته وقلنا: (ماذا عـسى أن تصنع اليناأمه!! إنمـا نرجو المـعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا).

فو الله مابقى من صواحبى امرأة الا وأخـذت رضيعا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجـى الحارث بن عبدالعزي: والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فـلآخذنه، فقال: لا عليك فذهبت، فأخـذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، قـأقبل على ثدياى ، بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبى إلى شارفى تلك فاذا بها حافل، فـحلب ما شـرب، وشربت حتى روينا فـبتنا بخـير ليلة، فقال لى صاحبى: ياحليمة، والله انى لأراك أخذت نسمة مباركة.. الحديث، وذكر فيه من معجزاته ما هو مشهور به ﷺ [3].

---

(١) القمرة بضم فسكون بياض فيه كدرة. (٢) الشارف الناقة المسنة.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٦٢ ـ ١٦٥.

وكان ﷺ بالجعرانة[١] فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبى ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، وكانت هذه المرأة حليمة السعدية أم النبى التى أرضعته.

وكان اسم زوجها الذى ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبنه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصر بن فصية[٢] بن نصر بن سعد بن بكر .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود .

وكانت لرسول الله ﷺ معجزات متعددة ، منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها تكثير الطعام ببركة دعائه ، ومنها حنين الجذع إليه ، ومنها الإسراء والمعراج ، ومنها عناية الله به فى الهجرة حيث رد عنه الكفار عند الغار حين رأوا أثر العنكبوت .

من رأى العنكبوت يهزم جيشا لاتقل هاجن ولا سنفردا
لو مد سيف نحو رسول الله لأبى السيف نحوه أن يمدا

٨ - حمنة بنت جحش

حمنة بنت جحش بن رباب :

قال أبو عمرو : حمنة بنت جحش ،كانت تستحاض[٣] هى وأختها أم حبيبة بنت جحش ، وهى أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير ، فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمران ابنى طلحة[٤] .

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة وهى إلى مكة اقرب.
(٢) تصغير فصية
(٣) الاستحاضة ان يستمر بالمراة خروج الدم بعد ايام حيضتها المعتادة .
(٤) الاستيعاب ٤ -٨١٣.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ممن قال فى الافك على عائشة رضى الله عنها ، فعلت ذلك حمية لأختها زينب . إلا أن زينب - رضى الله عنها - لم تقل فى الافك شيئاً ، فقال بعضهم : إن حمنة جلدت مع من جلد وقيل لم يجلد أحد ، وكانت من المهاجرات وشهدت أحداً . فكانت تسقى العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم ، روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابنها عمران ابن طلحة .

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش قالت : كنت استحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبى ﷺ أستفتيه وأخبره ، فوجدته فى بيت أختى زينب ، فقلت يارسول الله ، إنى استحاض حيضة كثيرة شديدة ، فما تأمرنى فيها؟ قد منعتنى الصلاة والصيام ، قال أنعت[1] لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قلت : هو أكثر من ذلك، قال : فتلجمى[2] . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فاتخذى ثوباً. قالت : هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً « اى أصب الدم صباً » . أخرجها الثلاثة .

وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال للمستحاضة : صلى وإن قطر الدم على الحصر .

والاستحاضة فى اصطلاح الفقهاء : هى ما تراه المرأة من الدم فى غير وقت الحيض والنفاس ولا يمكن أن يكون حيضاً ، كالزائد عن أكثر مدة الحيض أو الناقص عن أقله ، وهو فى

---

(١) اي أصف لك الكرسف وهو القطن

(٢) تلجمى : اى شدى اللجام يعنى خرقة على هيئة اللجام .

الغالب أصفر بارد رقيق يخرج بفتور على عكس صفات الحيض .

ودم الاستحاضة كر عاف دائم لا يمنع صلاة ولا صوماً .

والمستحاضة ومن به عذر كسلس البول وانطلاق البطن وانفلات الريح والرعاف الدائم والجرح الذى لا يرقأ يتوضأون لوقت كل صلاة ويصلون به ما شاؤوا من الفرائض والنوافل .

والحيض : هو الدم الذى تعتاد المرأة رؤيته فى أيام معلومة « الدورة الشهرية » وأقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأوسطه خمسة وأكثره عشرة .

والنفاس هو الدم الخارج عقب الولادة ، وأكثره أربعون يوماً ولا حد لأقله .

ويحرم على الحائض والنفساء كل ما يحرم على الجنب من مس كتابة المصحف والمكث فى المسجد ، ولا يقبل منهما الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة .

ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالي: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ .

ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء عدا الجماع .

قال ابن عباس رضى الله عنه ، كانت اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ويعتزلونها جانباً .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

فقــال رسول الله صلى الله عليه وســلم «اصنعوا كل شيء إلا النكاح » وفــى لفظ « إلا الجـمـــاع » . رواه الجـمـــاعــة إلا البخارى .

٩ - خـديجـــة

خـديجـة بنت خـويلد بن أسـد بن عبد العـزى بن قـصـى القـرشـيـة الأسـديـة أم المـؤمنين زوج النبى «ص» أول امـرأة تزوجهـا وأول خلق الله أسلم بإجمـاع المسلميـن لم يتقدمـهـا رجل ولا امرأة .

مات عنها زوجها أبو هالة ، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجـر الرجال فى مالها تضاربهم[1] إياه بشـيء تجـعله لهم ، فلما بلغـها عن رسـول الله ما بلـغها مـن صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مـالها إلى الشــام تاجراً ، وتعطيـه أفضل مـا كانت تعطى غيـره من التجار ، مع غلام لهــا يقال له ميسرة ، فـقبله منها ، وخرج فى مالهــا ومعه غلامها ميســره حتى قدم الشام فنزل رسول الـلـه صلى الله عليه وسلم فى ظل شـجرة قـريباً من صومعــة راهب ، فاطلع الراهب الى ميســره فقال : من هذا الرجل الذى نـزل تحت هذه الشـــجـرة ، قـــال : هذا رجل من قــريش من أهل الحـــرم . فقــال له الراهب : مــا نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، ثم باع رسول الـلـه ﷺ سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد ، وربحت تجـارته وعلمت خديجه بأخباره فرغـبت فى الزواج منه ، وتم هذا الزواج المبــارك الذى كان له أبعد الأثر فى تاريخ الدعوة الإسـلامية .

(١) المضاربة : ان تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم فى الربح

عن عائشة رضى الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يعود الى خديجة فيتزود لمثلها ... إلى آخر الحديث .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس قال خط رسول الله « ص » فى الأرض أربع خطوط قال اتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

روى البخارى ومسلم وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما غرت من أحد من ازواج النبى ﷺ ما غرت على خديجة»

وعن عائشة أيضاً أنها قالت « كان رسول الله ﷺ لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً ، فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا ، والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً . وقد رزق رسول الله من خديجة: القاسم وهو أكبر أولاده وعبدالله وكان يقال له الطيب والطاهر وزينب ثم أم كلثوم، ثم فاطمة ثم رقية.

ونلمح من هذه السيرة العطرة، شمائل النبوة، فقد تزوج

النبى صلى الله عليه وسلم خديجة، وكان عمره الشريف خمساً وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة، ومكث معها زهرة شبابه حتى ماتت إلى رحمة الله وعمره الشريف خمسون عاماً، ولم يتزوج عليها فى حياتها، ثم تزوج بعد ذلك وعمره قرابة اثنين وخمسين عاماً عائشة وكانت صغيرة، وتزوج بقية زوجاته فى العقد الأخير من حياته وكل زوجة منهن كان لزواجها حكمة معينة، وكانت زوجاته أمهات المؤمنين، وحاملات للسيرة الخاصة، وقد أدبهن القرآن أدباً خاصاً؛ وجعل منهن مثلا أعلى لكل امرأة مسلمة، وفى فترة معينة حرم الله على الرسول زواج أى امرأة بعد ذلك حيث قال سبحانه «لا يحل لك النساء من بعد».

١٠ـ الخنساء بنت عمرو

هى الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية الشاعرة.

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم فذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول : هيه يا خناس ، قالوا: وكانت تقول فى أول أمرها البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ـ وهو شقيقها ـ قتله هاشم وزيد المريان ، وقتل صخر وهو أخوها لأبيها، وكان احبهما إليها، وكان حليماً جواداً محبوباً فى العشيرة، طعنه ابو ثور الأسدي، فمرض منها قريباً من سنة، ثم مات فلما مات أكثرت أخته من المراثى فأجادت ، ومن قولها فى صخر أخيها:

أعينى جودا ولا تجمدا — ألا تبكيان لصخر الندي؟
ألا تبكيان الجرىء الجميل — ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويل العماد عظيم الرماد — ساد عشيرته أمردا[1]

ولها فيه:

أشم أبلج [2] يأتم الهداة به — كأنه علم فى رأسه نار
وان صخرا لمولانا وسيدنا — وان صخرا إذ نشتو لنحار
هباط أودية حمال ألوية — شهاد أندية للجيش جرار[3]

وفى الاستيعاب وخزانة الأدب : ان الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يابنى، انكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل : ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، رابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

فإذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها[4]، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها [5] تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، أبلوا بلاء حسنا . واستشهدوا رحمهم الله ، فلما

(١) العماد والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت، والعرب تضع البيت موضع الشرف والنسب والحسب. (٢) ابلج : طلق الوجه.
(٣) ديوان الخنساء ٤٨. (٤) الوطيس : شبه التنور، اي اقصدوا اشد أماكن القتال.
(٥) الخميس : الجيش.

بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وكان عمر رضى الله عنه ، يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضى الله عنه .

١١ - خولة بنت ثعلبة

خولت بنت مالك بن ثعلبة بن أسرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف . عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : حدثتنى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت ، أخى عبادة بن الصامت قالت : في والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر صورة « المجادلة» قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر ، وقالت : فدخل على يوما فراجعته فى شئ فغضب وقال : « انت على كظهر أمى » ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل على فاذا هو يريدنى على نفسى . فقلت : كلا ، والذى نفس خوله بيده لاتخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا [1] بحكمه ، قالت: فواثبنى وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه . قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فى القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان

(١) فى المسند (فينا بحكمه) .

يتغشاه ، ثم سرى عنه فقال : يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك . ثم قرأ على : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » ـ الآيات ، إلى قوله : « وللكافرين عذاب أليم » قالت : فقال رسول الله ﷺ مريه فليعتق رقبه . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله انه شيخ كبير ، مابه من صيام. قال : فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر [1] . قالت فقلت : يا رسول الله ، ماذاك عنده ! قالت : فقال رسول الله ﷺ : فانا سنعينه بعرق [2] من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعرق آخر . قال : فقد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا . قالت : ففعلت [3] .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خرج ومعه الناس ، فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز ؟! قال : ويلك ! تدرى من هذه ؟ هى امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التى أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ﴾ . والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ، ثم أرجع .

١٢ - الربيع بنت النضر

الربيع ـ تصغير الربيع أيضاً ـ هى بنت النضر ، وهى

(١) الوسق : ستون صاعاً .
(٢) العرق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص ، وكل شئ مضفور فهو عرق وعرقة بفتح الراء فيهما .
(٣) مسند الإمام احمد : ٦/٤١٠/٤١١ .

أنصارية من بنى عدى ابن النجـار ، وهى أم حارثة بن سراقة الذى استشهد بين يدى رسـول الله ﷺ ببدر ، فأتت أمه الربيع رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله اخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت واحـتسبت ، وإن كان غير ذلك اجـتهدت فى البكاء فقال : إنها جنات ، وانه أصاب الفردوس الأعلى[1]

وهذه الربيع هى التى كسـرت ثنية امرأة ، فعرضـوا عليهم الأرش[2] فـأبوا وطلبـوا العـفـو فـأبوا وأتو النبى ﷺ فـأمـر النبى ﷺ بالقـصـاص فـقام أخـوها أنس بـن النضر فـقـال : يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فعفا القوم بـعد أن كانوا أمتنعوا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عـباد الله من لو أقـسم على الله لأبره » وقد قـيل : إن التى فعلت ذلك كانت أخت الربيع .

حـدثنا ثابت ، عن أنـس أن أخت الربيع أم حـارثة جـرحت إنسانا ، فاخـتصموا إلى رسول الله ﷺ فـقال رسول الله ﷺ : القصـاص . فقالت أم الربيع : يا رسـول الله ، أيقتص من فلانة ! والله لا يقـتص منها أبدا . فـقال رسـول الله ﷺ : سبـحان الله يا أم الربيع ! القصـاص كتاب الله . قالت : والله لا يتـقص منها أبدا. فمـازالت حتى قبلوا ، فـقال رسول الله ﷺ : من عـباد الله من لو أقسم على الله لأبره [3] .

١٣ - رقيقة بنت صيفى

رقيقة بنت صيفى بن هاشم بن عبد مناف .

أوردها الطبرانى وجعفر المستغفرى فى الصحابيات ، وقال

(١) الاستيعاب : ٤/١٨٣٨ . (٢) الأرش : الدية .

(٣) مسلم : كتاب القاسمة ، باب (إثبات القصاص فى الأسنان وما فى معناها) ، ٥/١٠٥ - ١٠٦ .

أبو نعيم : لا أراها أدركت البعثة والدعوة .

أخبرنا مخرمة بن نوفل عن أمه رقيقة ـ قال : وكانت لدة[1] عبد المطلب بن هاشم ـ قالت : تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع ، وأدقت العظم ، فبينما أنا راقدة ـ اللهم أو مهمومة ـ إذ أنا بهاتف يصرخ بصوت صحل[2] يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبي مبعوث ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه ، فحي هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا ، عظاما جساما ، أبيض بضا ، أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسنه تهدى إليه ، فليخلص هو وولده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، وليستلموا الركن ، ثم ليرقوا أبا قبيس ، ثم ليدع الرجل ، وليؤمن القوم فغثتم ما شئتم . فأصبحت ـ علم الله ـ مذعورة ، اقشعر جلدي، ودله عقلي[3] ، واقتصصت رؤياي ، ونمت في شعاب مكة ، فو الحرمة والحرم ما بقي بها أبطحي إلا قال : هذا شيبة الحمد . وتتاهت إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أباقيس واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استووا بذروة الجبل ، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع ، أو كرب ، فرفع يديه فقال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف ، اللهم

(١) سيأتي في نهاية الترجمة شرح ابن الأثير لغريب هذا الحديث ،وسنشرح ما اغفله.
(٢) أي : فيه بحة .
(٣) أي : تحير .

فأمطر علينا مغدقا مرتعا . فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء مـا فيها . واكـتظ الوادى بشجيجـه ، فسمعت شـيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جـدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغـيرة يقولون لعـبد المطلب : هنيئـاً لك أبا البطحاء ، أى عاش بك أهل البطحاء . وفى ذلك تقول رقيقة :

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنـا وقـد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالمـاء جـونى له سـبل سحا، فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طـائره وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به مافى الأنـام له عـدم ولا خطر

أخـرجـه أبو نعـيم وأبو مـوسى ، وقـال أبو مـوسى : هذا حديث حسن عال ، فى هذا الحديث غريب نشرحه مختصرا .

قوله : لدة عبد المطلب ، أى : على سنة . واقحلت : أيبست . وأدقت العظم ، أى : جعلته ضعـيفا من الجهد ، وروى : أرقت ، بالراء . والتهـويم أول النوم ، والإبان : الوقت . وحى هلا كلمة تعـجيل . والحـيا ـ مـقصـور ـ المطر والخـصب ، أى : أتاكم المطر والخصب عاجلا . والوسيط : النسيب . والعظام ـ بضم العـين ـ: أبلغ من العظيم ، وكـذلك الجسـام أبلغ من الجسـيم . والبض : الرقيق البشرة. والأوطف : الطويل، والأشم : المرتفع .

وقوله : له فـخر يكظم عليـه ، أى : يخفـيه ولا يفـاخر به . والسنة : الطريقة وتهدى إليه ، أى : تدل الناس عليه . فليشنوا ـ بالسين والشين ـ أى : فليصبوا ومعناه : فليغتسلوا . فغثتم، أى : أتاكم الغيث والغوث . ونمت : أى : فشت وشـيبة الحمد : لقب عـبـد المطلب ، وتناهت إليـه ـ وفى رواية ـ : تنامت إليـه ومعنـاهما واحد ، أى : جـاءوا كلهم ، ويعنى بقـوله : رجالات

قريش : رؤساؤهم . ومهله : سكونه[1] .

وقوله : كرب ، أى : قرب . والخلة : الحاجة . والعبدى ـ مقصور ـ : العباد والعذرات : الأفنية . والسنة : القحط والشدة. ويعنى بالظلف والخف : الغنم والأبل والمغدق : الكثير. ومرتعا : أى ترتع فيه الدواب : واكتظ : أى ازدحم والشجيج : سيلان كثرة الماء . والشيخان : المشايخ . والجلة: ذوو الأقدار. اجلوذ أى : تأخر . والجونى : السحاب الأسود . وسحا أى : منصبا .

١٤ - رقية بنت رسول صلى الله عليه وسلم

رقية بنت رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد رضى الله عنهما .

روى الزبير بن بكار ، عن عمه مصعب بن عبد الله أن خديجة ولدت لرسول الله ﷺ فاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم[2] .

وروى أيضاً عن ابن لهيعة ، عن أبى الأسود أن خديجة ولدت للنبى ﷺ زينب ، ورقية ، وفاطمة ، وأم كلثوم .

وروى محمد بن فضالة قال : سمعت أن خديجة ولدت للنبى ﷺ زينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ورقية . وقيل أن فاطمة أصغرهن عليهن السلام .

وقال أبو عمر : لا أعلم خلافا أن زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ واختلف فيمن بعدها[3] .

وكان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن

---

(١) كذا ، وفى النهاية « ما يبلغ سعيهم مهلة : أى ما يبلغ إسراعهم إبطاءه » .
(٢) انظر كتاب نسب قريش : لمصعب : ٢١ .
(٣) الاستيعاب : ٤/ ١٨٣٩ .

أبى لهب ، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت سورة (تبت) قال لهما أبوهما أبو لهب ، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب : « فارقا ابنتى »[1] محمد ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما وهوانا لابنى أبى لهب ، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وولدت له هناك ولدا ، فسماه عبدالله . وكان عثمان يكنى به ، فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك ، فورم وجهه ومرض ومات ، وكان موته فى جمادى الأول سنة أربع، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان فى حفرته .

وقال قتادة : « إن رقية لم تلد من عثمان ولدا» . وهذا ليس بصحيح ، إنما أختها أم كلثوم لم تلد من عثمان ، وكان تزوجها بعد رقية ، وهذا يدل على أن رقية أكبر من أم كلثوم ، ولما سار رسول الله ﷺ إلى بدر كانت ابنته رقية مريضة فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ له بذلك ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين، وكانت قد اصابتها الحصبة ، فماتت بها . وقيل : ماتت قبل وصول زيد ، ودفنت عند ورود زيد فبينما هم يدفنونها سمع الناس التكبير ، فقال عثمان : ماهذا التكبير ؟ فنظروا فاذا زيد على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء بشيرا بقتلى بدر والغنيمة ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه وأجره ، لاخلاف بين أهل السير فى ذلك .

وقال قتادة : حدثنى النضر بين أنس ، عن أبيه انس قال : خرج عثمان مهاجرا إلى أرض الحبشة ، ومعه زوجته رقية

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بنت رسول الله ، فاحتبس خبرهم عن النبى ﷺ ، فكان يخرج فيسأل عن أخبارهما ، فجاءته امرأة فأخبرته أنها رأتهما . فقال النبى ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام . (أخرجها الثلاثة)

١٥ - رملة بنت أبى سفيان

رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين ، زوج رسول الله ﷺ ورضى عنها . وأمها صفية بنت أبى العاص [1] عمة عثمان بْن عفان بن أبى العاص . قيل : اسمها رملة . وقيل : هند . أسلمت قديما بمكة ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله [2] بن جحش ، فتنصر بالحبشة . ومات بها ، وأبت هى أن تتنصر ، وثبتت على إسلامها ، فتزوجها رسول الله ﷺ وهى بالحبشة ، زوجها منها عثمان بن عفان ، وقيل : عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وأمهرها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وأولم عليها عثمان لحما . وقيل : أولم عليها النجاشى . وحملها شر حبيل ابن حسنة إلى المدينة . وقد قيل : إن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالمدينة .

روى مسلم بن الحجاج فى صحيحه : أن أبا سفيان طلب من النبى ﷺ أن يتزوجها فاجابه إلى ذلك [3] . وهذا مما يعد من أوهام مسلم ، لأن رسول الله ﷺ كان قد تزوجها وهى

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٢٤ وجمهرة انساب العرب : ١١١ .
(٢) فى بعض الكتب اسمه : (عبدالله) والمثبت عن كتاب نسب قريش : ١٢٣ وطبقات ابن سعد : ٦٨/٨ ، وجمهرة انساب العرب : ١٩١ .
(٣) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل ابى سفيان بن حرب رضى الله عنه) ١٧١/٧ .

بالحبشة قبل اسلام أبى سفيان ، لم يختلف أهل السير فى ذلك . ولما جاء أبو سفيان إلى المدينة قبل الفتح ، لما أوقعت قريش بخزاعة ، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ فخاف ، فجاء إلى المدينة ليجدد العهد ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلم تتركه يجلس على فراش رسول الله ﷺ وقالت : أنت مشرك .

وقال قتادة : لما عادت من الحبشة مهاجرة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها وكذلك روى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب . وروى معمر ، عن الزهرى : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالحبشة . وهو أصح . ولما بلغ الخبر إلى أبى سفيان أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته قال : « ذلك الفحل ، لا يقدع أنفه ! » (1) .

وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ست ، وتوفيت سنة أربع وأربعين . وقيل : أن رسول الله ﷺ ارسل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى يخطب أم حبيبة ، فزوجها إياه (2) .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثنى محمد بن الحسن ، عن عبدالله بن عمرو ابن زهير ، عن اسماعيل بن عمرو : أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية ، فاستأذنت فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك : أن رسول الله ﷺ كتب إلى أزوجكيه ، فقلت : بشرك الله بخير . فقالت : يقول الملك : وكلى من يزوجك . فأرسلت إلى خالد بن سعيد ، فوكلته ، فأمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون وخطب النجاشى وقال :

(1) اى : انه كفء كريم لا يرد . ويروى : (لا يقرع) بالراء ، انظر : النهاية لابن الاثير وطبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

(2) طبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

« إن رسـول الله ﷺ كـتـب إلى أن أزوجـه أم حـبـيـبـة بنت أبى سـفيان ، فـأجبت إلى ما دعا إليه رسـول الله ﷺ وزوجته أم حـبـيبة ، فبـارك الله لرسوله » ودفع النجـاشي الدنانير إلى خالد [1] .

وروت عن النبـى ﷺ ، وروى عنهـا أخـوها مـعـاوية بن أبى سفيان ، وكان سـألها : هل كان النبى ﷺ يصلى فى الثوب الذى يجامع فيه ؟ قالت : نعم ، إذا لم ير فيه أذى . وروى عنها غيره [2] .

أخبرنا ابراهيـم بن محمد وغيـره ، قالوا باسنادهم عن أبى عيسى الترمذى حـدثناعلى بن حجر ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن مـحـمـد بن عبـد الله الشعـيثى ، عن أبيـه ، عن عنبسـة بن ابى سفيان ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعا وبعده أربعا ، حرمه الله عز وجل على النار[3].

١٦ - زينب بنت جحش

زينب بنت جحش ، زوج النبى ﷺ ، أخت عبدالله بن جحش، وهى أسـدية من أسـد بن خزيمـة ، وأمـها أمـيـمة بـنت عبـد المطلب ، عمة النبى ﷺ وتكنى أم الحكم .

وكانـت قديمة الاسـلام ، ومن المـهاجرات ، وكـان زيد بن حارثة مـولى النبى ﷺ قـد تزوجهـا ليعلمـها كتـاب الله وسنة رسوله ، ثم أن الله تعالى زوجهـا النبى ﷺ من السماء ، وانزل الله تعـالى : ﴿ وإذ تقـول للذى أنعم الله عليـه وأنعـمت عليـه :

(١) اخرجه ابن سعد عن طريق عبد الله بن عمرو بن زهير ، انظر الطبقات . ٨/٦٨ ـ ٦٩.
(٢) مسند الامام احمد : ٦ـ٣٢٥ ، ٤٢٦/٤٢٧ .
(٣) تحفة الاحوذى ،ابواب الصلاة : ٢/٥٠٠ ـ ٥٠٢ .

أمسك عليك زوجك ، واتق الله وتخـفى فى نفسك ما الله مـبديه وتخـشى الناس والله أحق أن تخشـاه ، فلمـا قضى زيد منهـا وطرا زوجناكها ﴾ ...[1] الآية . فتزوجـها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجـرة ، قاله أبو عبـيدة . وقال قتـادة سنة خمس . وقال ابن اسحاق : تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة .

عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسـول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرنى لهـا . قال زيد : فلمـا قـال لى رسـول الله ﷺ ذلك ، عـظمت فى عـينى ، فذهبت إليها ، فجعلت ظهرى إلى الباب ، فقلت : يا زينب ، بعث بى رسول الله ﷺ يذكرك ؟ فقالت : ما كـنت لأحدث شيئاحتى أوامـر ربى عز وجل . فـقامت إلى مـسجـدها ، وأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ فجعل رسول الله ﷺ يدخل عليها بغير إذن [2] .

عن أنس بن مالك قال : كانت زينـب بنت جحش تفخر على نساء النـبى ﷺ وتقول زوجنى الله من السـماء ، وأولم عليـها رسول الله ﷺ بخبز ولحم [3] .

وكانـت زينب كثـيرة الخـير والصـدقة ، ولمـا دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسماها زينب . وتكلم المنافقون فى ذلك وقـالوا : إن محـمـدا يحـرم نكاح نساء الأولاد . وقـد تزوج امرأة ابنه زيد ، لأنه كان يقال له « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمدا أبا أحـد من رجالكم ﴾ [4] وقال :

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ .
(٢) اخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق سليمان بن المغيرة ، انظر : ٨/٤٧٣ .
(٣) اخرجه ابن سعد ايضا فى طبقاته عن طريق عيسى بن طهمان ، انشر : ٨/٧٥ .
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾(١) . فكان يدعى « زيد ابن حارثة » وهجرها رسول الله ﷺ وغضب عليها لما قالت لصفية بنت حي : « تلك اليهودية » فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ، وعاد إلى ما كان عليه . وقيل : إن التى قالت لها ذلك حفصة .

وقالت عائشة : لم تكن أحد من نساء النبى ﷺ تساميني فى حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش : وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول : إن آباء كن انكحوكن(٢) وإن الله أنكحنى إياه .

وبسببها أنزل الحجاب . وكانت امرأة صناع اليد ، تعمل بيدها وتصدق به فى سبيل الله .

عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال للنساء عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر(٣) . قال : فكن كلهن يحججن إلا سودة وزينب بنت جحش ، فانهما كانتا يقولان : والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله ﷺ .

عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا . قالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا قالت : فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها ، وتتصدق(٤) .

وقالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من

---

(١) سورة الأحزاب آية ■ . (٢) فى بعض الكتب : (انكحكن) . والمراد زوجوكن .

(٣) اخرجه الإمام احمد من طريق ابن ابى ذئب ، بنحوه . انظر المسند : ٢ / ٤٤٦ والحصر ـ بضم فسكون ـ جمع الحصير الذى يبسط فى البيوت ، والمعنى : لا تخرجن من بيوتكن بع هذه والزمن الحصر .

(٤) مسلم :كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل زينب أم المؤمنين رضى الله عنها) ٧/١٤٤ .

زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وروى شهر بن حوشب ، عن عبدالله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب : إن زينب بنت جحش لأواهة . فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال : المتخشع المتضرع .

وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به كما أخبر رسول الله ﷺ وتوفيت سنة عشرين أرسل عمر بن الخطاب اثنى عشر ألف درهم ، كما فرض لنساء النبى ﷺ ، فأخذتها وفرقتها فى ذوى قرابتها وأيتامها ، ثم قالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا ! فماتت . وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودخل قبرها أسامة بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش قيل : هى أول امرأة صنع لها النعش . ودفنت بالبقيع [1] . (أخرجها الثلاثة)

١٧ - زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت رسول الله ﷺ . هى أكبر بناته ، ولدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة ، وماتت سنة ثمان من الهجرة فى حياة رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسلم . وقد شذ من لا اعتبار به أنها لم تكن أكبر بناته ، وليس بشئ ، إنما الاختلاف بين القاسم وزينب : أيهما ولد قبل الآخر ؟ فقال بعض العلماء بالنسب : أول ولد ولد له القاسم ، ثم زينب ، وقال ابن الكلبى : زينب ثم القاسم . وهاجرت بعد بدر ، وكانت زينب قد تزوجت فى مكة من أبى العاص بن الربيع .

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٨/٨١ .

وولدت منه غلاما اسمه على ، فتوفى وقد ناهز الاحتلام ، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة ، ولم يبادر زوج زينب إلى الإسلام بل أسلم فى وقت متأخر .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص حين أسلمت ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ، وكان رسول الله ﷺ مغلوبا بمكة ، لا يحل ولا يحرم[1] .

قيل : أن أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله ﷺ زينب ، فقيل : بالنكاح الأول . وقيل : ردها بنكاح جديد .

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ رد زينب على أبى العاص بعد سنين بالنكاح الأول ، لم يحدث صداقا .

قال : وحدثنا الدولابى ، حدثنا ابراهيم بن يعقوب ، أخبرنا يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ﷺ رد زينب على أبى العاص بمهر جديد ونكاح جديد .

وتوفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة ، ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها وهو مهموم ومحزون ، فلما خرج سرى عنه وقال : « كنت ذكرت زينب وضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ، ففعل وهون عليها » . ثم توفى زوجها أبو العاص . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/٦٥٢ .

١٨ - سفانة بنت حاتم

سفانة بنت حاتم الطائى . كان أبوها حاتم يكنى أبا سفانة .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس ، عن محمد بن اسحاق قال : أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا طيئ ، فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت : يا رسول الله . هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى حتى مر بى ثلاثا فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه . فقمت فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : قد فعلت ، فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنينى فسألت عن الرجل الذى أشار إلى ، فقيل : على بن أبى طالب . وقدم ركب من بلادى ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومى . قالت : فكسانى رسولالله ﷺ وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت حتى قدمت الشام على أخى عدى بن حاتم ، فقلا لها عدى : ما ترين فى أمر هذا الرجل . قالت : أرى أن تلحق [1] به ، فقد رأيت هديا ورأياً ، سيغلب أهل الغلبة ، رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإنه لنبى ، فللسابق إيه فضله ، فأصغى « عدى » إلى رأى أختـه ، وقدم على رسول الله مسلماً ، ومعه أخته مسلمة أيضاً .

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام : ٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

١٩ - سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلمى خادم النبى ﷺ وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وهى امرأة أبى رافع ويقال : أنها أيضاً مولاة للنبى .

وكانت قابلة بنى فاطمـة بنت رسول الله ﷺ وقابلة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليـهم ، وهى التى غسلت فـاطمة مع زوجها على ومع اسماء بنت عميس . وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ ومن حديثهـا ما أخبرنا به اسمـاعيل بن على وابراهيم بن محمد وغيرهما ، قالوا بإسنادهم عن أبى عيسى قال :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، أخبرنا قائد مـولى لآل أبى رافع ، عن على بن عـبيد الله ، عـن جدته - وكانت تخدم النبى ﷺ - قـالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ فرحة أو نكبة [1] إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء .

وقد روى هذا عن عبيـد الله بن على . عن جدته سلمى ، قال الترمذى : عبيد الله بن على أصح [2] .

عن هشام بن عـروة ، عن أبيه ، عن عـائشة قـالت : جاءت سلمى امـرأة [3] أبى رافع مـولـى النبى ﷺ تستـــأذنه على أبى رافع ، وقالت : إنــه يضربنى فقـال النبى ﷺ لأبى رافع : مالك ولهـا يا أبا رافع ؟ فقال : تؤذينى يا رســول الله قال : بم آذيتــه يا سلمى ؟ قالت : يا رســول الله ما أذيتــه بشئ ، ولكنه أحدث وهو يصلى ، فقلـت له : يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد

---

(١) فى بعض الكتب (نكـتة) بالتـاء والصـواب عن تحـفة الأحـوذى (النكبـة) وهى ما يصيب الإنسان من الحوادث .

(٢) تحفة الأحوذى باب ما جاء فى التداوى بالحناء : ٦ـ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) فى المسند : (مولاه رسول الله - ﷺ - او امر■ ابى رافع) .

أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ . فقام يضربني ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول : يا أبا رافع أنها لم تأمرك إلا بخير ، وقال : لا تضربها (١) .(أخرجها الثلاثة)

٢٠ - سمية أم عمار

سمية أم عمار بن ياسر. وهى سمية بنت خباط .

كانت أمه لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، وكان ياسر حليفا لأبى حزيفة ، فزوجه سمية ، فولدت له عمار ، فأعتقه أبو حذيفة . وكانت من السابقين إلى الإسلام ، قيل : كانت سابع سبعة فى الإسلام ، وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس بن بكير ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام ، وهى تأبى غيره ، حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبونه بالابطح فى رمضاء مكة ، فيقول : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة .

وروى أن أبا جهل طعنها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها ، فهى أول شهيد فى الإسلام ، وكان قتلها قبل الهجرة ، وكانت ممن أظهر الإسلام بمكة فى أول الإسلام .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية . فأما رسول الله وأبو بكر فمنعهما قومهما ، وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها .

(١) مسند الإمام أحمد : ٦ / ٢٧٢ .

وقال ابن قتـيبة أن سمـية خلف عليها بـعد ياسر الأزرق ، وكان غلاما روميا للحـارث بن كلدة الثقفى ، فولدت له سلمة ، فهو أخو عمار لأمه [1] .

وهذا وهم منه فاحش ، فـإن الأزرق انما خلف على سمـية أم زياد ، فسلمـة ابن الأزرق أخو زياد لأمـه ، اشتبـه على ابن قتيبة سمية أم زياد بسمية أم عمار ، والله أعلم [2] .

٢١ - سودة بنت زمعة

سودة بنت زمـعة بن قـيس بن عبـد شمس بن عـبد ود بن نصر بن مالك بن حـسل بن عامر بن لؤى القرشيـة العامرية . وأمـها الشـمـوس بنت قـيس بن زيد بن عـمرو بن لـبيـد بن خداش[3] بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية .

وسودة هى زوج النـبى ﷺ ، تزوجها رسـول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خـديجة قبل عائشة ، قاله عـقيل عن الزهرى ، وقاله قتادة وأبو عبيدة ، وابن اسحاق .

وقال عـبد الله بن محمـد بن عقيل : تزوجـها بعد عـائشة . ورواه يونس عن الـزهرى . وكـانت قـبـله تحت ابن عـمـــهـا السكران بن عمـرو ، أخى سهيل بن عمرو ، من بـنى عامر بن لؤى ، وكان مـسلما فتوفى عنهـا ، فتزوجهـا رسول الله ﷺ . وكـانت امـرأة ثقـيلة ثبطة[4] وأسنت عند رسـول الله ﷺ ولم تصب منه ولدا إلى أن مات .

---

(١) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٦ .

(٢) نبه ابو عمر فى الاستيعاب على هذا الخطا . انظر : ٤/١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ .

(٣) فى بعض الكتب (خراش) والمثبت عن جمهرة انساب العرب لابن حزم : ١٦٧ واحدى نسخ الاستيعاب ٤ ـ ١٨٦٧ وطبقات ابن سعد : ٨ ـ ٣٦ وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ٤٢٢ .

(٤) ثبطة : ثقلة .

وروى محمد بن اسحاق ، عن حكيم بن حكيم ، عن محمد ابن على بن الحسين ، عن أبيه قال : كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة ، وكان أول امرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن محمد بن عيسى .

عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت : لا تطلقني وأمسكني ، وأجعل يومي لعائشة ، ففعل ، فنزلت : ﴿ فلا جناح عليهما أن يصالحا[1] بينهما صلحا ، والصلح خير ﴾ فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز [2] .

عن سودة بنت زمعة قالت : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أبى شيخ كبير لا يستطيع أن يحج ؟ قال : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك ؟ قال : نعم . قال : فالله أرحم ، حج عن أبيك [3] .

وتوفيت سودة اخر خلافة عمر . (اخرجها الثلاثة)

٢٢ - سيرين أخت مارية القبطية

سيرين ، أخت مارية القبطية .

أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبى ﷺ فتسرى النبى مارية ، وهى أم ابنه ابراهيم عليه السلام . ووهب سيرين لحسان بن ثابت ، فهى أم ابنه عبد الرحمن بن حسان .

روى عنها ابنها عبد الرحمن . أنها قالت : حضر ابراهيم ابن النبى ﷺ الموت فرأيت رسول الله ﷺ كلما صحت أنا

(١) هذه قراءة ثابتة في السبعة ، انظر البحر المحيط : ٣ ـ ٣٦٣ .

(٢) تحفة الاحوذى ، تفسير سورة النساء : ٨ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٥ وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » . وانظر تفسير ابن كثير ، عند الآية ١٢٨ من سورة النساء ٢ ـ ٣٧٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٦ ـ ٤٢٩ .

وأختى ، نهانا عن الصياح ، وغسله الفضل بن العباس ، ورسول الله والعباس على سرير ، ثم حمل فرأيته جالسا على شفير القبر ، ونزل فى قبره الفضل والعباس وأسامة وكسفت الشمس يومئذ ، فقال الناس : كسفت لموت ابراهيم ! فقال رسول الله ﷺ : لا تكسف لموت أحد ولا لحياته . ورأى رسول الله ﷺ فرجة فى قبر ابراهيم فأمر بها فسدت ، وقال : أنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقر عين الحى ، وأن العبد إذا عمل شيئا أحب الله منه أن يتقنه . (أخرجها الثالثة)

٢٣ - الشفاء بنت عبد الله

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن سداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشية العدوية أم سليمان بن أبى حثمة . قيل : أسمها ليلى .

أسلمت قديما ، وهى من المبايعات ، ومن المهاجرات الأول. وأمها فاطمة بنت أبى وهب[1] بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم . وكانت من عقلاء النساء وفضالتهن ، وكان رسول الله ﷺ يقيل عندها . واتخذت له فراشا وازاراً ينام فيه ، فلم يزل كذلك عندها حتى أخذه منهم مروان . وكان ترقى من النملة . فأمرها رسول الله ﷺ أن تعلمها حفصة . وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين ، فنزلتها مع ابنها سليمان. وكان عمر رضى الله عنه يقدمها فى الرأى ويرضاها .

روى عنها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان بن أبى حثمة .

أخبرنا أبو ياسر باسناده عن عبد الله بن أحمد عن الشفاء

(١) فى طبقات ابن سعد ٨ ـ ١٩٦ : (بنت وهب) والصواب ما هنا . انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٣٦٨ .

بنت عبد الله ـ وكانت امرأة من المهاجرات ـ قالت : « إن رسول الله ﷺ سل عن أفضل الأعمال فقال : « ايمان بالله ، وجهاد فى سبيله ، وحج مبرور »[1] .

وروى الأوزاعى ، عن الزهرى ، عن أم سلمة و عن الشفاء بنت عبد الله قالت أتيت رسول الله ﷺ أسأله ، فجعل يعتذر إلى وأنا ألومه ، قالت : فحضرت الصلاة فخرجت فدخلت على ابنتى وهى تحت شرحبيل بن حسنة ، فوجدت شرحبيلا فى البيت وأقول : قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت ! وجعلت ألومه ، فقال : يا خاله ، لا تلومينى ، فإنه كان لنا ثوب ، فاستعاره رسول الله ﷺ فقلت : بأبى وأمى أنى كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر ! قال شرحبيل : ما كان إلا درعا رقعناه[2] .

وروى عثمان بن سليمان بن أبى حثمة ، عن الشفاء بنت عبد الله أنها كانت ترقى فى الجاهلية ، وأنها لما هاجرت إلى النبى ﷺ ـ وكانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج ـ فقدمت عليه، فقالت : يا رسول الله ، انى كنت أرقى برقى فى الجاهلية، وأنى اردت أن أعرضها عليك . قال فاعرضيها ، فعرضتها ـ وكانت منها رقية النملة ـ فقال : ارقى بها ، وعلميها حفصة ، باسم الله صلوا صلب جبر تعوذا[3] من أفواهها ، فلا تضر أحدا ، اللهم اكشف البأس رب الناس . قال : ترقى بها على عود كركم[4] سبع مرار وتضعه مكانا نظيفا ، ثم تدلكه على

---

(١) مسند الامام احمد : ٦ ـ ٣٧٢ .

(٢) اخرجه ابن ابى عاصم ، انظر الاصابة : ٤ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٣) كذا ومثله فى الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٦٩ ، ولا ندرى ما معناه . وفى المصورة : «صلق صلب حبر » وعلى هامشها (خصلوا) اهـ نقلا عن أسد الغابة ـ مطابع دار الشعب .

(٤) الكركم : الزعفران .

حجر بخل خمر ثقيف ، وتطلبه على النملة .(أخرجها الثلاثة)

وقد ثبت فى كتب السنة أنه ﷺ كان يرقي المريض بآيات من القرآن . ومن ذلك سورة الفاتحة ، وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة ، والآيات الأخيرة من سورة الحشر . وقوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ . وفى السنة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يرقى المريض بهذا الدعاء « أذهب الباس رب الناس ، واشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

٢٤ - صفية بنت حيي بن أخطب

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية [١] بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخروج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم ـ وقيل : ينحوم وقيل : تخوم [٢] . والأول قاله اليهود ، وهم أعلم بلسانهم ، وهم من بنى اسرائيل من سبط لازوى ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران ، أخى موسى صلى الله عليهم . وأم صفية برة بنت سموأل : وكانت زوج سلام بن مشكم اليهودى ، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وهما شاعران ، فقتل عنها كنانة يوم خيبر.

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع السبى ، أتاه دحية بن خليفة فقال : أعطنى جارية من السبى . قال : اذهب فخذ جارية . فذهب فأخذ صفية . قيل : يا رسول

---

(١) فى بعض النسخ (سعنة) والمثبت عن طبقات ابن سعد : ٨ـ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة : ١٣٨ .

(٢) كذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها (نحوم) بالحاء . وفى طبقات ابن سعد والمعارف (ينحوم) .

الله ، أنها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك . فقال له رسول الله ﷺ : خذ جارية من السبي غيرها ، وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها ، وحجبها وأعتقها وتزوجها ، وقسم لها . وكانت عاقلة من عقلاء النساء .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس عن ابن اسحاق قال : حدثني والدي اسحاق بن يسار قال : لما افتتح رسول الله ﷺ القموص ـ حصن ابن أبي الحقيق ـ أتي بصفية بنت حيي ، ومعها ابنة عم لها ، جاء بهما بلال ، فمر بهما على قتلى من يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها وصاحت ، وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله ﷺ : أغربوا [1] هذه الشيطانة عني ، وأمر رسول الله ﷺ بصفية فحيزت خلفه ، وغطى عليها ثوبه . فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسول الله ﷺ لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال انزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما ؟! وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمرا وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب ! فلم يزل الأثر في وجهها حتى اتي بها رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فأخبرته الخبر[2] .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن أبي عيسى ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها [3] .

---

(١) كذا في بعض النسخ بالغين والراء المهملة وفي سيرة ابن هشام : (اغربوا) بالزاي والعين المهملة . وفي اللسان : (والغرب) : الذهاب والتنحي عن الناس ، وقد غرب عنا يغرب غربا ـ بالتضعيف ـ واغرب غروبة واغربه : نحاه . .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٣٣٦ .

(٣) تحفة الأحوذي ، أبواب النكاح ، باب (ما جاء في الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها) الحديث : ١١٢٣ جـ ٤ ـ ٢٧٥ .

وحدثتنا صفية بنت حيي قالت : دخل على رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فقال : ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى ؟! وكان بلغها أنهما قالتا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، نحن أزواج رسول الله ﷺ وبنات عمه(١) .

عن صفية بنت حيي : أن النبي ﷺ حج بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق(٢) برك بصفية جملها ، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده ، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها ، فنزل رسول الله ﷺ بالناس . فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش : يا زينب أفقري(٣) أختك جملا ـ وكانت من أكثرهن ظهرا قالت : أنا أفقر يهوديتك؟ فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها ، فلم يكلمها حتى قدم مكة ، وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة ، ومحرم وصفر ، فلم يأتها ولم يقسم لها ، ويئست منه . فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها ، فلما رأت ظله قالت : هذا ظل رجل ، وما يدخل على رسول الله ﷺ فدخل النبي ﷺ ، فلما رأته قالت : يا رسول الله، ما أصنع ؟ قالت(٤) : وكانت لها جارية تخبؤها من النبي ﷺ ـ فقالت : فلانة لك . قال : فمشى النبي ﷺ إلى سرير صفية . وكان قد رفع . فوضعه بيده(٥) ، ورضي عن أهله(٦) .

---

(١) تحفة الأحوذي : أبواب المناقب ، باب : في فضل أزواج النبي ﷺ . الحديث ٣٩٨٣: ١٠ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

(٢) اختصر ابن الأثير لفظ هذا الحديث .

(٣) في بعض النسخ (أفقرى) والصواب ما أثبتناه . وأفقره بعيره : أعاره إياه .

(٤) في بعض النسخ : (قال) والمثبت عن المسند .

(٥) لفظ المسند : (فوضعه بيده ثم أصاب أهله ، ورضي عنهم) .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

وروى عنهـا على بن الحـسين قـالت : جـئت إلى النبى ﷺ أتحدث عنده ، وكـان معتكفا فى المـسجد ، فقـام معى يبلغنى بيتى . فلقـيه رجلان من الأنـصار قالت : فلمـا رأيا رسول الله ﷺ رجعـا ، فقال : تعـاليا فإنـها صفـية . فقـالا : نعوذ بالله ! يارسول الله . فـقال : إن الشيطـان ليجرى من ابن ادم مـجرى الدم[1] .

وتوفيت سنة ست وثلاثين . وقيل سنة خمسين .

(أخرجها الثلاثة)

٢٥ - صفية بنت عبد المطلب

صفـية بنت عبد المطلب بـن هاشم بن عبد مناف القرشـية الهاشمية عمـة رسول الله ﷺ وهى أم الزبير بن العوام ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبـد مناف بن زهرة ، وهى شقيقـة حمزة والمقوم وحجل بنى عبد المطلب[2] .

لم يختلف فى اسـلامها من عمـات النبى ﷺ ، واختلف فى عـاتكة وأروى ، والصـحـيح أنه لم يسلم غـيـرها ، كـانت فى الجاهلية قد تزوجها الحـارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس ، أخو أبى سـفيان بن حـرب فمات عنها ، فـتزوجهـا العوام بن خويلد ، فـولدت له الزبير[3] : وعبد الـكعبة ، وعاشت كـثيراً ، وتوفيت سنة عشرين فى خلافـة عمر بن الخطاب ، ولها ثلاث وسبـعون سنة . ودفنت بالبـقيع . وقـيل : أن العوام تزوجـها

---

(١) مسند الإمام احمد : ٦ ـ ٣٣٧ .

(٢) كتاب نسب قريش : ١٧ .

(٣) فى الاستـيعـاب ٤ ـ ١٨٢٣ : « الزبير ، والسائـب ، وعبد الكعـبة » . وانظر كـتاب نسب قريش : ٢٠ .

أولا ، وليس بشئ . قاله أبو عمر ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا ، وصبرت صبرا عظيما .

أخبرنا أبوجعفر باسناده عن يونس ، عن ابن اسحاق قال : حدثني الزهري وغيره من علمائنا ، عن يوم أحد وقتل حمزة ، قال : فأقبلت صفية بنت عبدالمطلب لتنظر إلى حمزة بأحد . وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : ألقها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير وقال : أى أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، قالت : ولم ، فقد بلغني أنه مثل بأخي ، وذاك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إليه فأخبره قول صفية قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه واسترجعت[1]، واستغفرت له ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن[2].

قال وحدثنا ابن إسحاق قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في قاع ـ حسن حسان بن ثابت ، يعني في وقعة الخندق ـ قالت : وكان حسان معنا في الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ ، قالت صفية : فمر بنا رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها[3] وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت ، قالت : فقلت : يا حسان ، أن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، فأنزل إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت

(١) اى قالت (إنا لله وإنا إليه راجعون) .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٩٧ .
(٣) في بعض النسخ (بيننا) والمثبت عن سيرة ابن هشام .

ما انا بصاحب هذا ! قالت صفية : فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت[1] وأخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، ثم رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزل فأسلّبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل. فقال : ما لى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب[2] .

قال يونس : وحدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن صفية بنت عبد المطلب ، مثله ونحوه ، وزاد فيه : وهى أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . (أخرجها الثلاثة)

٣٦ - عاتكة بنت زيد

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية . وهى ابنة عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان فى نفيل .

كانت من المهاجرات إلى المدينة ، وكانت امرأة عبد الله بن أبى بكر الصديق ، وكانت حسناء جميلة ، فأحبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازية وغيرها ، فأمره أبوه بطلاقها ، فقال[3] :

يقولون : طلقها وخيم مكانها ... مقيما ، تمنى النفس أحلام نائم
وإن فراقى أهل بيت[4] جمعتهم ... على كبر[5] منى لاحدى العظائم
أرانى وأهلى كالعجول[6] تروحت ... إلى بوها قبل العشار الروائم

---

(١) اى : شددت وسطى .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٢٢٨ .
(٣) الأبيات فى كتاب نسب قريش : ٢٧٧ ، والاستيعاب : ٤ ـ ١٨٧٧ ، والاصابة ٤ ـ ٣٤٦ .
(٤) فى الأصول : جميعهم . والمثبت عن كتاب نسب قريش والاصابة ، وبعض نسخ الاستيعاب .
(٥) فى بعض النسخ : (على كره) . والمثبت عن كتاب نسب قريش .
(٦) فى الاصل : (تزوجت) . والمثبت عن نسخة مصورة . والعجول من النساء والابل : التى فقدت ولدها لعجلتها فى جيئها وذهابها جزعا .

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ، فتبعتها نفسه، فسمعه أبو بكر يوما وهو يقول :

أعاتك لاأنساك ماذر شارق[1] وماناح قمرى[2] الحمام المطوق
عـاتك ، قلبى كل يوم وليلة اليـك بما تخـفى النفـوس مـعلق
ولم أر مثلى طـلق اليوم مثلهـا ولا مثلهـا فى غير جـرم تطلق
لها خلق جزل ، ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحـياء ومصدق

فرق له أبوه وأمره فارتجعهـا ، ثم شهد عبد الله الطائف مع رسول الله ﷺ ، فرمى بسهم فمات منه بالمدينة ، فقالت عاتكة ترثيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد ابى بكر،وما كان قصرا[3]
فـاليت لاتنفـك عـينى حـزينة عليك ، ولا ينـفك جلدى أغـبـرا
فلله عينا من رأى مـثله فتى أكر وأحمى فى الهيـاج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب . وقيل : لم يتزوجها ، وقتل عنها يوم اليمـامة شـهيدا ، فـتزوجـها عمـر بن الخطاب سنة اثنتى عشـرة ، أو لم عليها ، فـدعا جمـعا فيـهم على بن أبى طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنـى أكلم عاتكة . قال : افعل فأخذ بجانبى الباب وقال : يا عدية نفسها . أين قولك :

فآليت لا تنفك عينى حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا

فبكـت ، فقال عـمر : مـا دعاك إلى هذا يا أبا الحـسن ؟ كل النساء يفـعلن هذا فقال : قال الله تعـالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا، لم تقـولون مالا تفـعلون . كبـر مقتـا عند الله أن تقولـوا ما لا تفعلون ﴾ فقتل عنها عمر . فقالت ترثيه :

(١) ذرت الشمس : طلعت .
(٢) القمرى ـ بضم القاف ـ: طائر يشبه الحمام .
(٣) الأبيات فى طبقات ابن سعد : ٨ ـ ١٩٤ ، وكتاب نسب قريش : ٢٧٧ .

عين ، جودي بعبرة ونحيب   لاتملي على الامام النجيب
قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا   قد سقته المنون كأس شعوب[1]

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فقتل عنها . فقالت ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[2]   يوم اللقاء وكان غير معرد[3]
يا عمرو ، لو نبهته لوجدته   لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه   عنها طرادك يا ابن فقع القردد[4]
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله   ممن مضى، ممن يروح ويغتدى
والله ربك إن قتلت لمسلما   حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها على بن أبى طالب ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، انت بقية الناس وسيد المرسلين ، وانى انفس بك عن الموت ، فلم يتزوجها ، وكانت تحضر صلاة الجماعة فى المسجد ، فلما خطبها عمر شرطت عليه أنه لا يمنعها عن المسجد ولا يضربها ، فأجابها على كره منه ، فلما خطبها الزبير ذكرت له ذلك ، فأجابها إليه أيضا . فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخرة شق ذلك عليه ولم يمنعها ، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها ، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه ، فلما مرت ضرب بيده على عجزها ، فنفرت من ذلك ولم تخرج بعد.

(أخرجها الثلاثة)

---

(١) الشعوب: المنية .

(٢) البهمة : واحدة البهم ـ بضم ففتح ـ وهى : معضلات الأمور .

(٣) عرد الرجل تعريداً : فر .

(٤) الفقع : ضرب من اردا الكماة ـ وهى نبات يخرج دون غرس ـ والقردد : ارض مرتفعة إلى جنب وهذه . وقال ابو حنيفة : الفقع يطلع من الارض فيظهر ابيض ، وهو ردئ ، والجيد ما حفر عنه واستخرج . ويشبه به الرجل الذليل ، لأن الدواب تنجله بارجلها.

٢٧ - عاتكة بنت عبد المطلب

عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ . اختلف فى اسلامها ، فقال ابن اسحاق وجماعة من العلماء لم يسلم من عمات النبى ﷺ غير صفية . وكانت عاتكة عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى أبى أم سلمة ، وهى أم ابنة عبد الله بن أبى أمية ، وأم زهير وقريبة[١] . روت عنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وغيرها .

عن عروة بن الزبير قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم - قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفارى على قريش مكة بثلاث ليال - رؤيا ، فاصبحت عاتكة فبعثت إلى أخيها العباس فقالت : يا أخى ، لقد رأيت الليلة رؤيا : ليدخلن على قومك منها شر وبلاء ! فقال : وما هى ؟ فقالت : رأيت فيما يرى النائم رجلا اقبل علي بعير له فوقف بالأبطح ، فقال : « انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث » . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع الناس إليه ، ثم مثل[٢] به بعيرة ، فاذا هو على رأس الكعبة فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » ثم أرى بعيره مثل به على رأس ابى قبيس فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » . ثم اخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل ، فاقبلت تهوى ، حتى إذا كانت فى أسفله ارفاضت[٣] فما بقيت دار من دور قومك ، ولا بيت إلا دخل فيها بعضها . فقال العباس : اكتميها . قالت : وأنت فاكتمها .

(١) كتاب نسب قريش : ١٨ . (٢) اى : قام به .
(٣) اى : تفتت .

فخـرج العباس من عندها فلقى الوليـد بن عتبـة ـ وكان له صديقـا ـ فذكرها له واسـتكتمه ايـاها ، فذكرها الوليـد لأبيه ، فتحـدث بها ، ففشـا الحديث فقال العبـاس : والله انى لغاد إلى الكعبة لأطوف بـها ، فاذا أبو جهل فى نفر يتـحدثون عن رؤيا عاتكـة ، فقال أبو جـهل : يا أبا الفضل مـتى حدثت فـيكم هذه النبية ؟ فقلت : وما ذاك ؟ قـال : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ، أما رضيـتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبـأت نساؤكم ! سنتربص بكم الثلاث التى ذكـرت عاتكة ، فإن كـان حقا فـسيكون ، وإلا كتـبنا عليكم كـتابا انكم أكـذب أهل بيت فى العرب ! فـأنكرت وقلت : ما رأت شيـئا . فلما أمسيت لم تبق امـرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فـقلن : صبرتم لهـذا الفاسق الخـبيث أن يقع فى رجـالكم ، ثم قـد تناول النـساء ، وانـت تسـمع ، فلم يكن عندك غيرة ؟ فقلت : قد ـ والله ـ صدقتن . ولأتعرضن له ، فان عاد لأكفينكه . فغدوت فى اليوم الثـالث اتعرض له ليقول شيئا أشاتمـه ، فو الله انى لمـقبل نحوه إذ ولى نحـو باب المسـجد أشتـد(١) . فـقلت فى نفـسى : اللهم العنة ، اكل هذا فـرقـا ان اشاتمـه ! وإذا هو قد سـمع ما لم اسـمع صوت ضـمضم بن عـمرو وهو واقـف على بعيـره بالابطح ، حـتى حـول رحله ، وشق قمـيصـه وجذع (٢) بعيـره ، يقول : يا مـعشـر قريش ، اللطيمة اللطيمة (٣) ، أموالكم أموالكم مع ابى سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث فشغله ذلك عنى ، وشغلنى عنه ، فلم يكن إلا الجـهـاز ، حـتى خرجنا إلـى بدر ، فأصـاب

---

(١) أى : يسرع . (٢) أى قطع أنفه .

(٣) اللطيمة : الابل التى تحمل البز والطيب .

قريشا ما أصابها ببدر وصدق الله سبحانه وتعالى رؤيا عاتكة[1] .

(أخرجها الثلاثة)

٣٨ - فاطمة بنت أسد

فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، ام على بن أبى طالب . وام اخواته طالب وعقيل وجعفر . قيل : انها توفيت قبل الهجرة وليس بشئ ، والصحيح انها هاجرت إلى المدينة ، وتفيت بها .

قال الشعبى : أم على فاطمة بنت أسد ، اسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت بها [2] .

وروى الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن ابى البحترى ، عن على قال : قلت لأمى فاطمة بنت أسد : أكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ، وتكفيك الداخل : الطحن والعجن .

وهذا يدل على هجرتها،لأن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة .

قال الزهرى : هى أول هاشمية ولدت لها شمى ، وهى أيضاً أول هاشمية ولدت خليفة ، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن ، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لا نعلم غيرهن . ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف فهم الخلافة ، فأما على فانه كان من اضطراب الأمور عليه إلى أن قتل ، ما هو مشهور ، واما الحسن والأمين فخلعا .

عن عبد الله بن محمد بن عمر بن على ، عن ابيه : أن رسول

---

(١) سيرة ابن هشام : ١ - ٦٠٧ - ٦٠٩ . وانظر طبقات ابن سعد : ٨ - ٢٩ - ٣٠ .
(٢) الاستيعاب : ٤ - ١٨٩١ .

الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه ، واضطجع فى قبرها وجزاها خيرا .

وروى عن ابن عباس نحو هذا ، وزاد ، « فقالوا : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ! قال : أنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها ، إنما البستها قميصى لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب القبر .

قال الزبير : انقرض ولد اسد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت أسد[1] .

(أخرجها الثلاثة)

١٩ - فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سيدة نساء العالمين ، ماعدا مريم بنت عمران صلى الله عليهما . امها خديجة بنت خويلد . وكانت هى وأم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ .

وقد اختلف : فى أيتهن أصغر سنا ؟ وقيل : أن رقية أصغرهن وفيه عندى نظر ، لأن النبى ﷺ زوج رقية من ابن أبى لهب ، فطلقها قبل الدخول بها ، أمره أبواه بذلك ، ثم تزوجها عثمان رضى الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ، فما كان ليزوج الصغرى ويترك الكبرى . وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها من على بعد أحد. وقيل : تزوجها على بعد أن ابنتى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف ، وابنتى بها بعد تزويجه أيها بسبعة أشهر ونصف ، وكان سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر فى قول . وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٦ .

منها ، فـان الذكور من أولاده ماتـوا صغارا ، وأمـا البنات فان رقية رضى الله عنها ولدت عـبد الله بن عثمان فتـوفى صغيرا ، وأما أم كلثوم فلم تلد(١) . وأما زينب رضى الله عنها فولت عليا ومات صبيا ، وولدت امامه بنت ابى العاص فتزوجها على ، ثم بعده المغيره بن نوفل وقال الزبير : انقرض عقب زينب(٢) .

عن ابى اسحاق ، عن الحارث ، عن على قال : خطب أبو بكر وعمر - يعنى فاطمـة إلى رسول الله ﷺ ، فأبى رسول الله ﷺ عليهما ، فقال عمـر ! فو الله لقد انكحك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما .

عن على بن أبى طالب قـال : خطبت فـاطمة إلى رسـول الله ﷺ فـقـالت لى مـولاة لى . هل علمـت أن فـاطمـة خطبت إلى رسـول الله ﷺ قلت : لا . قالت : فـقد خـطبت ، فمـا يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت : وعندى شئ أتزوج به ؟ فـقلت : انك ان جـئت رسـول الله ﷺ زوجك . فـوالله مـازالت ترجينى حـتى دخلت على رسول الله ﷺ - وكـانت لرسـول الله ﷺ جـلالة وهيـبة - فلمـا قـعـدت بين يديه أفـحمت ، فـو الله ما أستطيع أن اتكلم ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فـاطمة ؟ قلت : نعم . قال : هل عندك من شئ تستحلها به ؟ فـقلت : لا ، والله يا رسول الله فقال : ما فعلت بالدرع الـتى سلحتكها ؟ فـقلت : عندى والذى نفس على

(١) فى الأصول : (لم تلد) فزدنا الفاء ليستقيم السياق .
(٢) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بيده انها لحطمية[1] ، ثمنها أربعمائة درهم . قال : قد زوجتك ، فابعث بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ [2]

وعن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ليلة البناء - يعني بفاطمة - يا علي : لاتحدثن شيئا حتى تلقاني . فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغه على علي وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك لهما في نسلهما.

قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، كان لا ينكح بناته على ضرة.

عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فانها بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها [3] .

عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهلي . قالت : فقلت : يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت ؟ قال : بلى ، إن شاء الله عز وجل .

---

(١) الحطمية بضم الحاء وفتح الطاء - التي تحطم السيوف . وقيل : هي العريضة الثقيلة قيل : هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس . يقال لهم : حطمة بن محارب ، كانوا يعملون والدروع . يقول ابن الأثير في النهاية : وهذا أشبه الأقوال .

(٢) انظر طبقات ابن سعد : ٨ - ١٢ - ١٣ .

(٣) تحفة الأحوذي ، أبواب المناقب : باب « ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها » الحديث ٣٦٥٩ ، ١٠ - ٣٦٩ - ٣٧٠ وقال الترمذي ، هذا حديث صحيح .

قال أبو صالح : قال الحاكم فى المستدرك ، عن الأصم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل بيت محمد ، ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا ﴾ (٢) .

عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشى ، كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : مرحبا يا بنتى . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثا فبكت ، ثم اسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن . فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ فلما قبض سألتها ، فأخبرتنى أنه سر إلى فقال : أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عارضنى العام مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلى لحوقا بى ، ونعم السلف أنا لك ، فبكيت ، فقال : ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين .

قال أبو صالح : رواه البخارى فى الصحيح (٣) ، عن أبى نعيم . وهذا من غريب الصحيح ، فان زكريا روى عن الشعبى أحاديث فى الصحيحين ، وهذا يرويه عن فراس ، عن الشعبى .

---

(١) المستدرك : مناقب أهل البيت : ٣ ـ ١٤٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذى من حديث حماد ، انظر تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الأحزاب ، الحديث ٣٢٥٩ ، [illegible] ـ ٦٧ ـ ٦٨ . وتفسير ابن كثير ، عند الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب : ٦ ـ ٤٠٧ .

(٣) البخارى ، كتاب المناقب : [illegible] ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

عن جميع بن عمير التيمى قال : دخلت مع عمى على عائشة، فسألت : أى الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت فاطمة . قيل : من الرجل ؟ قالت : زوجها ، إن كان ـ ما علمت ـ صواما قواما [1] .

عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عن على بن أبى طالب يقول : سألت رسول الله ﷺ فقلت : أينا أحب إليك انا أو فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلى منك ، وأنت أعز على منها.

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ قال لفاطمة : « أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . »

عن على : أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة .

عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ فسارها بشئ فبكت ثم سارها بشئ فضحكت ، فسألتها عنه فقالت : أخبرنى أنه مقبوض فى هذه السنة فبكيت ، فقال : ما يسرك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة ، إلا فلانة ، فضحكت .

عن على قال : دخل على رسول الله ﷺ وأنا نائم[2] ، فاستسقى الحسن أو الحسين ، قال : فقام النبى ﷺ إلى شاة لنا بكئ[3] فحلبها ، فدرت ، فجاء الحسن فنحاه النبى ﷺ فقالت فاطمة : يا رسول الله ، كأنه أحبهما اليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله . ثم قال : انا واياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة[4] .

---

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٩٦٥ : ١٠ ـ ٣٧٥ .

(٢) فى المسند : « وانا نائم على المنامة » .

(٣) أى : قليلة اللبن .

(٤) مسند الإمام احمد : ١ ـ ١٠١ .

عن زيد بن أرقم : أن رســول الله ﷺ قــال : لعلى وفــاطمــة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربتم ، وسلم لمن سالم[١].

عن على قــال : سمعــت رسول الله ﷺ يقول : إذا كــان يوم القـيامــة نادى مناد من وراء الحــجاب : يا أهل الجـمع غضــوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر .

عن فاطمة بنت الحسين بن على ، عن جدتها فاطمة الكبرى، هى بنت رســول الله ﷺ ـ قالت : كــان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محــمد وسلم ثم قال : رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وإذا خــرج صلى على محمد وسلم ثم قال : ربى اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك [٢] .

هذا الحديث ليس اسناده بمتصل ، فان فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى ، والله أعلم [٢] .

وتوفيت فاطمة بعد رســول الله ﷺ بستة أشهر . هذا أصح ما قيل وقيل : بثلاثة أشهر . وقيل : عاشت بعده سبعين يوما. وما رؤيت ضــاحكة بعد وفــاة رسول الله ﷺ حتى لــحقت بالله عز وجل ، ووجدت [٣] عليه وجدا عظيما .

قال أنس : قالت لى فاطمة : يا أنس ، كيف طابت قلوبكم ؟! تحثون التراب على رسول الله ﷺ ؟

وكــانت أول أهله حلوقــا بــه ، تصــديقــا لقــوله ﷺ . ولمــا حضرها المــوت قالت لأسماء بنت عميس : يا اســماء ، انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها.

---

(١) تحفة الأحــوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فــاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٩٦٢ : ١٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٢) مسند الإمام احمد : ٦ ـ ٢٨٢ .

(٣) اى : حزنت .

قالت أسماء يا ابنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ! فإذا أنامت فاغسليني أنت وعلى ، ولا تدخلى على أحدا . فلما توفيت جاءت عائشة ، فمنعتها أسماء فشكتها عائشة إلى أبى بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ ! فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبى ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ ، وقد صنعت لها هودجا ؟ قالت هى أمرتنى ألا يدخل عليها أحد ، وأمرتنى أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعى ما أمرتك . وغسلها على وأسماء[1].

وهى أول من غطى نعشها فى الإسلام ، ثم بعدها زينب بنت جحش . وصلى عليها على بن أبى طالب . وقيل : صلى عليها العباس . وأوصت أن تدفن ليلا ففعل ذلك بها . ونزل فى قبرها على والعباس ، والفضل بن العباس .

قيل : توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة ، والله أعلم . وكان عمرها تسعا وعشرين سنة .

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن [2] بن على : كان عمرها ثلاثين سنة . وقال الكلبى : كان عمرها خمسا وثلاثين سنة .

وقد روى أنها اغتسلت لما حضرها الموت وتكفنت ، وأمرت عليا أن لا يكشفها إذا توفيت ، وأن يدرجها [3] فى ثيابها كما هى ، ويدفنها ليلا . والصحيح أن عليا وأسماء غسلاها والله أعلم . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٤ ـ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ .
(٢) فى الأصل (الحسن بن الحسين) . والمثبت عن الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٩٩ .
(٣) أى : يلفها .

٢٠ - فضــة النوبيــة
جارية فاطمة الزهراء

فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

عن ابن عبـاس قـال فى قـوله تعـالـى : ﴿ يوفـون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتـيما وأسيـرا ﴾ . قال : مرض الحسن والحـسين ، فعادهماجـدهما رسول الله ﷺ وعادهما عامـة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولدك نذرا . فقـال على إن برآمما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيـام شكرا . وقالت فاطمة كذلك وقالت جارية يقـال لها فضة نوبية : إن برأ سـيداى صمت لله عز وجل شكرا ، فألبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير . فـانطلق على إلى شمعون الخيرى فـاستقرض منه ثلاثة آسع من شعير ، فـجاء بها فوضعها ، فـقامت فاطمة إلى صاع فطحنتـه واختبـزته ، وصلى على مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنـزل فـوضـع الطعـام بين يديه ، إذ أتـاهم مـسكين فوقف بالبـاب ، فقال : السـلام عليكم أهل بيت محمـد مسكين من أولاد المسلمين ، أطعمونى أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة ، فسمعه على ، فأمـرهم فأعطوه الطعام . ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء . فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة إلى صاع وخـبزته ، وصلى على مع النبى ﷺ ووضـع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم يتـيم فوقف بالباب ، وقـال : السلام عليكم أهل بيت محمـد ، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين ، استشهد والدى أطعمونى . فأعطوه الطعام ، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء . فلمـا كان اليوم الثالث قـامت فاطمة إلى الصـاع الباقى

فطحنته واختبزته ، فصلى على مع النبى ﷺ ، ووضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت النبوة ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ، أطعمونى فانى أسير . فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء . فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فانزل الله تعالى ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر﴾ إلى قوله : ﴿ لا نريد منك جزاء ولا شكورا ﴾ .

٣١ - قتيلة بنت النضر

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف بن عبد الدار بن قصى القرشية العبدرية . كانت تحت عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر ابن عبد شمس ، فولدت له عليا ، والوليد ، ومحمدا ، وأم الحكم .

قال الواقدى : هى التى قالت الأبيات الآتية فى رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر ، وهى [1] : ـ

يا راكبا أن الأثيل مظنة   من صبح خامسة وأنت موفق[2]
أبلغ بها[3] ميتا بأن[4] تحية   ماإن تزال بها النجائب تعتق[5]
منى إليه وعبرة مسفوحة   جادت لما تحتها[6]وأخرى تخنق

(١) الابيات فى سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٤٢ ، وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى ٤ - ٢٥٥ ، والاستيعاب : ٤ ـ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، والبيان والتبيين للجاحظ : ٤ ـ ٤٣ ـ [illegible] .

(٢) الأثيل ـ مصغراً ـ : عين ماء بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة : موضع ايقاع الظن.

(٣) فى الكتب : (به) . المثبت عن السيرة والبيان ، والتأنيث لأنها عين ماء .

(٤) فى الكتب : (فان) . والمثبت عن سيرة ابن هشام الـ .

(٥) تعتق : تسرع . وفى المراجع المتقدمة (تخفق) وهو بمعناه .

(٦) فى المطبوعة : (لما تحتها) . والمانح : المستسقى . والكلام استعارة . وفى كتاب نسب قريش (لمانحها) وهو بمعناه

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحـــام هنـــاك تشـــقق
قسرا يقاد إلى المنيـة متعبا[1] ... رسف المقيد،وهو عان موثق[2]
أمحمد ، أولست ضنء[3] نجيبة ... من قومهـا،والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق[4]
فالنضـــر أقـرب من تـركــت ... قرابة واحقهم إن كان عتق يعتق

فلمـا بلغ رســول الله ﷺ ذلك بكى حـتى اخـضلت الدمـوع لحيتـه ، وقال : لو بلغنى شعرهـا قبل أن أقتله ما قتلته . ذكر هذا الخبر عبد الله بن أدريس . وذكـر الزبير قال : فرق رسول الله ﷺ حــتى دمـعت عــيناه وقـــال لأبى بكر : يـا أبا بكر ، لو سمعت شعرها لم أقتل أباها .

(اخرجها أبو عمر)

وروى بعـضهم « عـتق يعتـق » بضم الياء وكـسر التـاء ، ومـعناه : إن كـان شـرف ونجـابة وكـرم نفس وأصل يعـتق صاحبه فهو أحق به .

٣٢ - معاذة جارية عبد الله بن أبى ابن سلول

روى الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن مـحمد بن ثابت - أخى بنى الحـارث بن الـخـزرجى فى قـوله عـز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ قال : نزلت فى معاذة جارية عبدالله ابن أبى ابن سلول، وذلك أنه كـان عنده أسـيـر فكان عبـد الله

(١) فى المطبوعـة والمصورة : « معتـباً » بتقديم العـين . ولا يستقيم المـعنى عليه . والمثبت عن المرجع المتقدمة أ . هـ نقلا عن اسد الغابة فى معرفة الصحابة .

(٢) الرسف : المشى الثقيل . والعانى : الأسير .

(٣) فى بعض النسخ : (صنو) والمثبت عن السيرة ، والبيان ، وكـتاب نسب قريش والضنء - بالضاد المعجمة مفتوحة او مكسورة : الولد .

(٤) المحـنق : الشديد الغـيظ . والتعليق منقـولة من كتـاب « اسد الغـابة فى معـرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير » - مطابع دار الشعب بالقاهرة .

يضربها لتمكنه من نفسها ، رجاء أن تحبل منه ، فيأخذ فى ذلك فداء . وهو العرض الذى قال الله عز وجل : ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ وكانت الجارية تأبى عليه وهى مسلمة ـ قال الزهرى : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله هذه الآية . ثم إنها عتقت[1] وبايعت النبي ﷺ بيعة النساء ، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة . أخو بنى عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بنت سهل . ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدى القارىء ، أخو بنى خطمة فولدت له توأما ، الحارث وعديا ابنى الحمير ، ثم فارقها فتزوجها عامر بن عدى رجل من بنى خطمة أيضاً ، فولدت أم حبيب بنت عامر .

قيل فى نسبها : معاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج .

وقا ابن ماكولا : وأما الضرير ـ بضم الضاد المعجمة ، وفتح الراء ـ فمعاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . وذكر من أمرها ما تقدم .

أخرجها أبو عمر ، وأبو موسى . الا أن أبا عمر قال : «معاذة بنت عبد الله . وقيل : مسيكة . قال الزهرى : معاذة . وقال الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر اسمها مسيكة . وقال: والصحيح قول ابن شهاب ان شاء الله تعالى .

وقد روى أبو صالح ، عن ابن عباس القصة ، وسمى الجارية ، مسيكة ، فوافق الأعمش . والله أعلم .

قلت : قول ابن شهاب فى نسبها ما ذكرناه إلى خدارة ، يدل على أن الأنصار قد كان يسبى بعضهم بعضاً فى

(١) اى : خرجت من الرق .

الجاهلية، فإن بنى خدرة وخدارة هم من ولد الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن أبى من بنى الجبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج ، فكلهم خزرجيون . ومع ذلك فقد كانت معاذة من خدارة وهى أمه لعبد الله بن أبى ، والله أعلم .

فى أعقاب ترجمة الصحابيات

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا لله. لقد كان الصحابة والصحابيات نماذج مضيئة ومعالم للحق والهدى ، وقد مدحهم القرآن بقوله الخالد :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾
(الفتح : ٢٩)

خاتمـــــة

فى ختـام الحديث اتوجـه إلى الفتـاة المسلمـة أدعوها إلى الأمور الآتية :

١ - حـافظى على الصـلاة والوضوء والطهـارة الحـسيـة والمعنوية ، لتكونى قـريبة من الله ، قريبة من الجنة بـعيدة من النار .

٢ - التزمى بآداب الإسلام فى العبادات والمعاملات ، وثقى أن ذلك يزيدك جمالاً ، ويرفع رصيدك عند الله وعند الناس .

٣ - احذرى الفتاة المـاجنة المستهترة ، واختـارى رفيقتك بعناية ، لأن الجليس الصالح كالمسك رائحته طيبة .

والجليس السوء مثل كير الحداد يتطاير منه الشرر .

٤ - حافظى على الفـرائض ، مثل صيام رمـضان ، وغض البصر ، والاستقامة ، والبـعد عن المحرّمات ، فالنبى ﷺ يقول : « يا معشر الناس : اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة .

اصدقـوا إذا حدثتم ، واوفوا إذا عـاهدتم ، وادوا الامانة إذا اؤتمنتم ، وغُـضُّـوا أبصـاركم ، واحفـظوا فروجكم ، وكـفـوا أيديكم » .

٥ - اقتـربى من والديك ، ومن اخوتك ، واسـتعـدِّى لطاعة

زوجك بعد الزواج ، والتعاون معه على البر والتقوى ، وثقى أن الحبَّ عطاء وتضحية وكفاح وعمل وأمل ، وبذلك تساهمين فى بناء بيت مـــسلم ، يعـتـز به الاســـلام ، ويرضى عنه الله رب العالمين ..

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

الفهـــرس

الصفحة

مقـدمة ٥
تمهيـــد ٩
مع الإسلام ١٤
الباب الأول : الزواج ونظام الأسرة ١٧
الزواج فى السنّة ٢٠
اختيار الزوجة ٢٢
حقوق الزوجة ٢٨
١ ـ المهــر ٢٨
٢ ـ النفقــة ٢٤
عمل الزوجة ٣٦
حقوق الزوج ٣٩
١ ـ الطاعــة ٣٩
٢ ـ القرار فى البيت ٤٥
٣ ـ ولاية التأديب ٤٨
الحقوق المشتركة بين الزوجين ٥١
آداب تتعلق بالزواج ٥٤
١ ـ الوليمـــة ٥٤
٢ ـ الصبر والاحتمال ٥٧
٣ ـ المداعبة والمزاح ٥٩
٤ ـ مزج المداعبة بالحزم ٦٢
٥ ـ الاعتدال فى الغيرة ٦٣

الصفحة

كلمة إلى الشباب ٦٧
النسل والذرية ٧٢
العناية بتربية البنات ٧٨
الباب الثاني ٨١
صحابيات رسول الله ﷺ ٨١
المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامية ٨٦
١ ـ أسماء بنت عميس ٨٨
٢ ـ أسماء بنت يزيد الأشهلية ٨٩
٣ ـ بريرة مولاة عائشة ٩٠
٤ ـ جميل بنت يسار ٩١
٥ ـ جويرية بنت الحارث ٩٢
٦ ـ حبيبة بنت سهل الأنصارية ٩٤
٧ ـ حليمة بنت أبي ذؤيب ٩٥
٨ ـ حمنة بنت جحش ٩٧
٩ ـ خديجة ١٠٠
١٠ ـ الخنساء بنت عمرو ١٠٢
١١ ـ خولة بنت ثعلبة ١٠٤
١٢ ـ الربيع بنت النضر ١٠٥
١٣ ـ رقيقة بنت صيفي ١٠٦
١٤ ـ رقية بنت رسول الله ﷺ ١٠٩
١٥ ـ رملة بنت أبي سفيان ١١١
١٦ ـ زينب بنت جحش ١١٣
١٧ ـ زينب بنت رسول الله ﷺ ١١٦
١٨ ـ سفانة بنت حاتم ١١٨
١٩ ـ سلمى خادم رسول الله ﷺ ١١٩
٢٠ ـ سمية أم عمار ١٢٠

الصفحة
٢١ ـ سودة بنت زمعة ١٢١
٢٢ ـ سيرين أخت مارية القبطية ١٢٢
٢٣ ـ الشفاء بنت عبد الله ١٢٣
٢٤ ـ صفية بنت حيى بن أخطب ١٢٤
٢٥ ـ صفية بنت عبد المطلب ١٢٥
٢٦ ـ عاتكة بنت زيد ١٣٠
٢٧ ـ عاتكة بنت عبد المطلب ١٣٣
٢٨ ـ فاطمة بنت أسد ١٣٥
٢٩ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ١٣٦
٣٠ ـ فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء ١٤٣
٣١ ـ قتيلة بنت النضر ١٤٤
٣٢ ـ معاذة جارية عبد الله بن أبىّ ١٤٥
خاتمــــة ١٤٨

رقم الإيداع ١٦٦٦ / ٩٨
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0704 - 4